

ملامح

من تاريخ الأدب العربى ونصوصة

الأستاذ الدكتور

محمد على سعد

٢٠٠٥م

اللوتس للطباعة ٠٤٥/٣٣٥٩٩٣٦

ملامح
من تاريخ الأدب العربى ونصوصة

الأستاذ الدكتور
محمد على سعد

٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين .

وبعد

فهذه ملامح من تاريخ الأدب العربي ومختارات من فنونة الشعرية والنثرية من العصر الجاهلي ، تم اختيارها ومعالجتها في أسلوب أدبي سهل يعمل على تجليتها والوقوف على ظروفها وظروف قائليها .

كما تهدف هذه الدراسة إلى بيان حقيقة الوضع الأدبي لهذا العصر الذى مازال المعين الذى لا ينضب للدارسين ومحبى الأدب واللغة .

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل

الأستاذ الدكتور
محمد على سعد
ادكو - بحيرة
٢٠٠٤

البيئة العربية فى الحياة الجاهلية

تثبت الدراسات الاجتماعية أن المجتمع فى حركته يخضع لقوانين التطور كالكائنات الحية... ولكن عملية التطور هذه تتم ببطء شديد متأثرة بعوامل مختلفة تعمل عملها فى الحياة، مؤثرة فى كل مجال من مجالاتها.. حتى تظهر آثارها عندما تحقق لنفسها وجودا ملموسا.. تبدو مظاهره على الإنسان، وتتجلى فيما يصدر عنه من نزعات ورغبات.

إذ ليس من المعقول ولا من المقبول أن تتغير حركة الجماعات البشرية فى أى مجتمع بين شروق وغروب يوم من أيام الدهر.. لأن عملية التغيير تتناول الإنسان.. ذلك الكائن المركب الذى لم يتم اكتشاف كل مغاليق نفسه حتى اليوم.. وبناء شخصيته عن طريق إلزامها بأفكار جديدة، يمس صميم تكوينه النفسى، وهذا لا يتأتى إلا إذا تهيأ المناخ الحضارى، والواقع المادى، بما يكفل الاستجابة لتلك الأفكار.

وعندما نحاول تطبيق ذلك على الحياة فى المجتمع العربى قبل الإسلام.. نجد أن هناك عوامل مختلفة، أثرت فى تلك الحياة، وأخذت تعمل عملها الطبيعى فى تطوير الفكر العربى، وتهيئته؛ استعدادا للدخول فى مرحلة حضارية تلوح بشائرها فى الأفق.

ومن هنا فإن الشخصية العربية فى مرحلة الإرهاص الزمنى بقدوم دعوة جديدة.. قد أخذت تستعد لأداء هذا الدور الطبيعى الذى تعلن عنه البشائر؛ انتظارا للحظة الانطلاق.

وفى اللمحات التالية تقدم صورة واقعية لما كان عليه الحال فى البيئة العربية، لنرقب بعد ذلك ملامح التغيير ونقف على عوامله ودواعيه، وما آل إليه الأمر بعد ظهور الإسلام.

****

الحياة السياسية:

عرف العرب نظام القبيلة التى تحكمها قوانينها الخاصة النابعة من حياة العربى وحاجاته، وكان صاحب السيادة على القبيلة رجل له صفات خاصة، ومؤهلات معينة، ترشحه للقيام بواجبات منصب الرئاسة ولوازمه.. وفى معظم الأحيان كانت الكثرة العددية للعشيرة من المؤهلات اللازمة لشغل هذا المنصب، بالإضافة إلى ضرورة تفاضلها عن غيرها من العشائر بصفات الفضل التى توجه قيم الحياة.. كالكرم والمروءة والنجدة، والشجاعة فى مواجهة حمق الحمقى، والقدرة على رد العدوان إذا ما ووجهت القبيلة بمن يتعدى عليها.

فإذا استقر زمام الأمر فى يديه.كان واجبا على مواطنى الدولة (القبيلة) أن يؤدوا إليه ما يمكنه من أداء واجبات الحكم ومتطلبات السيادة.

وقد تركزت تلك الحقوق فى قول الشاعر العربى:

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول[١]

وقد آثر العربى هذه الحياة، واعتز بها مع فقر العيش، وبساطة المعيشة.. حتى إن واحدا من العرب جعل نفسه مثل كسرى فى إيوانه عندما سئل عن موقفه إذا اشتعل كل شئ ظله.

ومن هذه العوامل:

*انتصار قريش على الأحباش.. عندما جاء أبرهة يريد هدم الكعبة – وكان ذلك قبل مولد الرسول بخمسين عاما- ولكن الله تعالى أمكنها من القضاء عليه بالصورة التى قصها علينا القرآن الكريم فى قوله تعالى: "ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل*ألم يجعل كيدهم في تضليل* وأرسل عليهم طيراً أبابيل* ترميهم بحجارة من سجيل* فجعلهم كعصف مأكول" [سورة الفيل: ١- ٥].

*وكان اشتهارهم بالتجارة وكثرة تنقلهم لذلك فى رحلتى الصيف والشتاء مدعاة لتعرفهم على المجال العربى الذى يمتد بين الشمال والجنوب، جامعا على أرضه جموع الناطقين بالعربية وما يصدرون عنه من تقاليد وعادات، وما تمتلئ به حياتهم من وقائع وأحداث، وعقائد وأساطير... إلخ. كل ذلك جعل القرشى أكثر نباهة ومرونة من غيره.

---

(١) المرباع والصفايا والنشيطة وغيرها: أسماء لأقسام الغنائم، كانت وقفا على الرؤساء والسادة.. وحل محلها فى الإسلام ما ذكر فى قوله تعالى: "واعلموا إنما غنمتم من شئ فإن لله خمسة وللرسول ولذى القربى واليتامى"[سورة الأنفال: ٤١].

٧

*وكانت مجاورتهم للبيت واختصاصهم بالقيام بالوظائف المتصلة بخدمته كالرفادة، والسدانة، والإفاضة، وغيرها مساعدة على الاختلاط بوفود الحجاج من العرب الذى أدى بالضرورة إلى امتزاج الثقافة العربية الأصيلة وتوحدها ممثلة فى ثقافة قريش، وكان مظهر ذلك وحدة اللسان وقوة البيان.

كل ذلك هيأ لها حياة مدنية راقية عرفت نظام التحالف فى حلف الفضول، والحياة النيابية فى (دار الندوة) فكان لها بكل ذلك النفوذ والسلطان على العرب جميعاً.

۞۞۞۞۞۞۞

الحياة الدينية:

لم يرد إلينا من التاريخ ما يبين ظاهرة تطور التدين فى عقيدة العربى بشكل قاطع، ولكن الذى لا شك فيه أن العربى عرف ألوانا كثيرة من العقائد. وأن هذه العقائد كانت ترتبط بموقفه من الحياة ومن تصور الفرد لما يفضله من ألوان العبادات والعقائد.

ومن التوزيع العقدى لفكرة التدين نرى عرب الشمال كانوا يعبدون القمر، لأنه مصدر الضوء فى حياتهم، وهو الصديق الأنيس فى الليالى الموحشة، عليه المعتمد فى العدة والصيام والحج ومعرفة السنين والحساب.

وكان عرب الجنوب يعبدون الشمس من دون الله.. لأنها مصدر الدفء والحرارة.. وعامل الخصوبة والنماء، وقد سجل القرآن عليهم ذلك، كما جاء فى سورة النمل عن (بلقيس) وقومها.

ومن العرب من عبدوا النجوم.. فجعلوا من (عطارد) و(المشترى) و(الشعرى) آلهة.. وقد جاءت الإشارة إلى بعض ذلك فى القرآن الكريم فى (سورة النجم) حتى كان عمرو بن لحى- سيد خزاعة- فى رحلة إلى بعض مناطق الشام فرأى هناك أقواما يعبدون الأصنام .. ومن سذاجته أعجبه ذلك منهم فأهدوا إليه (هبل) رب أربابهم، وأعظم أصنامهم.. فقدم إلى مكة.. وعلى غراره ومثاله صنعوا أصنامهم.. ومن تقديسهم لها بعد ذلك جعلوا أنفسهم عبيدا لها.. وقد برز ذلك فى التسمى بأسمائها.

كما وجدنا بعض الطوائف العربية تعبد الجن والملائكة، وعن طريق اتصالهم بالحيرة عرفوا الزندقة التى تقول بإلهين.. أحدهما للنور، وهو منبع كل خير، والآخر للظلمة، وهو منبع كل شر.

كما رأينا جماعة أخرى سئمت الحياة ولم تسترح إلى عقيدة من العقائد، فمالت إلى الشك فى كل شئ، ورأت الحياة مهزلة عبثية يجب أن تقضى فى اللهو والغواية.

ولا نبعد كثيراً إذا جعلنا منهم طرفة بن العبد، الذى أعلن عن مذهبه **بقوله:**

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى

وأن أشهد اللذات، هل أنت مخلدى

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتى

فدعنى أبادرها بما ملكت يدى

وإلى جانب ذلك كله وجدنا الدهريين، الذين جعلوا الدهر إلهاً يصرف أمور الحياة والموت، ويتحكم فى مقادير العباد.. وقد حكى القرآن الكريم مقولتهم. وأنهم- فى ظنهم- يحيون ويموتون، وما يهلكهم إلا الدهر.

وشهدت الأرض العربية لوناً آخر من العبادات عرفته عن طريق النصرانية واليهودية.

وقد قيل: إن النصرانية دخلت إلى بلاد العرب فى القرن الرابع الميلادى ولم تحظ بتقدير كبير من العرب، وإن كانت قد عرفت طريقها إلى بعضهم، وهذا مؤكد

تاريخيا باعتناق عدد من الطامعين فى الإصلاح مبادئ النصرانية.. وكان منهم جماعة من الحنفاء، على رأسهم ورقة بن نوفل. وكانت نجران أهم مواطن النصارى.

أما اليهودية فقد اختلف حولها، وحول أصل اليهود، الذين عاشوا في الأرض العربية.

فقد قيل: إنهم عرب اعتنقوا اليهودية.

وقيل: إنهم يهود هاجروا إلى الأرض العربية، وأسسوا لأنفسهم مستعمرات فيها، وكان أشهرها (يثرب).

ولا نوافق أحمد أمين فى زعمه أن عقيدة التوحيد التى عرفت عند العرب كانت بسبب وجود اليهودية والنصرانية.. لأنه تجاهل وجود رسالات سابقة، عاشت فى جزيرة العرب على يد شعيب وصالح وإسماعيل – عليهم السلام.

وكان من آثار وجود هذه الرسالات- إلى جانب ما بقى من تعاليم إبراهيم خليل الله- انتشار فكرة التوحيد، والبعث والحساب والآخرة.

فقد جاءت على لسان زهير بن أبى سلمى، وهو يعبر عن خواطره فى قوله:

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم

ليخفى.. ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر، فيوضع فى كتب، فيدخر

ليوم حساب، أو يعجل فينقم

ولكنه - لعدم ثبوت يقينه - كانت أفكاره مضطربة فى أمر ما أورده عن الآخرة والحساب.. ولذلك رأيناه يعود إلى نوع من الحيرة لا يستقر معه على حال.. عندما يقول عن الموت إنه مصادفة قدرية غير عاقلة، قد تصيب أحد الأشخاص فيموت، وقد تخطئ الآخر فيطول عمره: استمع إليه يقول:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب

تمته.. ومن تخطئ يعمر فيهرم

ويرى بعض الكاتبين أن الأصل فى الدين عبادة الله وحده، وأن الأساطير والشرك بالله، وعبادة الشمس والقمر والنجوم والأصنام والأوثان قد عرفتها البشرية، لما طال على الناس الأمد، وقست قلوبهم، وأن الله تعالى أرسل الرسل للقضاء على تلك الأساطير، وإعادة وهج التوحيد.[١]

ومن أجل تأكيد هذه الحقيقة أورد الكاتب كثيرا من الأسماء العربية، التى وردت مقترنة باسم (إل).

ومن ذلك - مثلا - إسماعيل "إيل سمع"، والشرح "إيل شرح"، و"اليفع" "إيل يفع"، و"الكرب" "إيل كرب"... فلما طال على الناس الأمد، وعبدوا الأصنام غيروا أسماء أبنائهم مرتبطة بأسماء ما يعبدون، فوجدنا (تيم اللات) و(زيد اللات) و(امرء مناة) و(زيد مناة) و(عبد ود) و(عبد يعوق)... واتخاذ هذه الأسماء دليلا على أن

(١) انظر: مولد الرسول "التنبيل" لعبد الحميد جودة السحار: ص٣١٧.

الإنسان كان على علم.. وكان يعرف الله وحده لا شريك له.. ثم أشرك بربه عندما ضل في مسعاه.. واتبع هواه[1].

ومما يؤكد أن العربي كان يعتقد في الله.. قسمه به وإقرار قريش بوجود إله واحد.. خلق السماوات والأرض، وهو منزل الماء، وبيده إحياء الأرض بعد موتها، وأنهم كانوا يتضرعون إليه، ويستغيثون به.

ونتيجة لهذا كله يرى الكاتب أن أهل مكة لم يكونوا وثنيين على النحو المفهوم من الوثنية، ولم يكونوا- كذلك جماعة جاهلية مشركة لا تفهم شيئا عن وجود خلق وخالق، فاعتقدت في آلهة عديدة، كما اعتقدت بأن الأصنام تنفع وتضر.. إنهم لم يكونوا- في رأيه- على هذا النحو.. وإنما كانوا يعتقدون في وجود إله واحد خالق للسماوات والأرض.. وإنهم لذلك كانوا في عقيدتهم موحدين[2]

ومن هذا المنطلق لم تكن الخصوصية بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم – بسبب العقيدة في (الله) ... وإنما كانت بسبب إضافتهم إلى التوحيد أمورا أبعدته تماما عن التوحيد الخالص ، وجعلته شركا أو نوعا من الشرك [3].

---

(١) السابق : ص٢١٨.

(٢) السابق: ص٢٢٠.

(٣) السابق والصفحة .

فقد كانت عقيدتهم في التوحيد نوعا من عقائد النصرانية في الملائكة والقديسين والشفعاء بين الله والناس ، وهذا ما حاربه الإسلام عندما اجتث الوساطة وجعل الدين خالصا لله ٠

فالموروثات في العادات والتقاليد.. والتي اضيفت إلى التوحيد كانت مصدر الخصومة بين العرب والرسول – صلى الله عليه وسلم – وإلى جانب ما حققه الإسلام في البعد الاجتماعي من مساواة بين السادة والعبيد وسائر الأجناس والألوان ٠

أما حكاية الأصنام التي عرفها بعض العرب .. والتي عرفنا منها – العزى – وسواع – وهبَل – ومناة – وذا الكفين ٠ "فقد كانوا لا يتقربون إليها على أنها حجارة تنفع وتضر ٠٠ بل كانوا يعتقدون في حلول أرواح بتلك الأصنام ، ذات قوة خفية فعالة تطرد الخبائث عن عبادها وتجلب لهم الخيرات والبركات [1] ٠

وقد كانت (العزى) صنما في مكان يقال له " نخلة " وترمز إلى كوكب الصباح ، وكان لها بيت تعظمه قريش وكنانة ومضر ٠ ولا يقوم على السدانة والحجابة في بيتها إلا بنو شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم ٠

ويقال إن عبادتها وفدت إلى العرب من المصريين تشبها بعبادة " إزيس " المصرية ٠

---

(١) السابق : ص ٢٩٠ ٠

وشاء الله أن يحطم هذا الصنم بعد فتح مكة عندما كلف الرسول (صلى الله علية وسلم)بذلك الأمر خالد بن الوليد الذي انقض عليها وهدمها وهو يقول :

يا عز، كفرانك ، لاسبحانك   إني رأيت الله قد أهانك

أما "هبل" فأكبر الظن أنه (ابو للو) إله الشعر عند اليونان ،وكان في أعلى مكان بالكعبة ٠٠وكان تحطيمه بيد على بن أبى طالب أيام الفتح وهو مرتق على عاتق رسول الله (صلي الله عليه وسلم)

و"سواع " :إسم ابن من أبناء (نوح)عليه السلام ٠٠ وكان له تمثال على صورة امرأة ، جلب من أرض ما بين النهرين ،فعبدته "هذيل "وحطم بعد الفتح بيد عمرو بن العاص ٠ وكانت مناة " إلهة عربية للأوس والخزرج ٠٠ وكان العرب يحجون اليها فى كل عام و قد هدمها بعد الفتح ايضا سعد بن زيد الاشهلى

أما ذو الكفين فقد كان الها للدوسيين فى بلاد اليمن ٠٠و بعد غزوة حنين هدمة نفيل بن عمرو الدوسى ٠

وهذه الاصنام و غيرها كانت ترمز الى الكواكب و النجوم و كان العرب يقولون إنها بنات الله٠

وعلى الرغم من تعدد المعبودات من تلك الاصنام و غيرها فى الجاهلية الا ان الحياة العربية كانت مليئة بالفوضى و الإضطراب لا تعرف نظاما ولا تحترم قانونا ولا تقيم وزنا للاخلاق العالية فى كثير من أحوالها و عند كثير من طوائفها٠٠

وما كان هذا التدين المتعدد فى الواقع إل اداة لجلب المنافع الدنيويه و السعادة الارضية فقد وقر فى اذهان العرب الوثنيين ان المرء يثاب على أفعالة فى دنياه وأنة ليست هناك دار لخرى .

وعلى الرغم من تقديس الناس لمعتقداتهم فإنهم ما كانو يفعلون ذلك عن ايمان عميق بما يدينون له ، و إنما كان تسكينا للخوف من المجهول الذى يستبد بهم ، واستجابة لوسوسة الكهان و العرافين الذين عملوا على نشر الاساطير و الخرافات والجهل لتحقيق المزيد من الغنائم .. التى كانت تؤدى اليهم فى مقابل دجلهم .

وكان أهل الكتاب من اليهود يحتقرون غيرهم من أبناء الامم يستحلون الجرائم ما دامت فى غيرهم و كانو يقولون : ليس علينا فى الأميين سبيل .

أما النصارى فكانوا يروجون مقالة " بولس " الرسول عن العرب بأنهم أولاد الجارية .

وفي دجى تلك الفوضى ظهر بعض العقلاء ممن يبحثون عن شيء جديد يعيد للعقل العربي كرامته ، ويرده إلى رشد الصواب ، وينتشله من مستنقع الحياة الجاهلية .

وبدأت الأنوار تزحف على يد جماعة من العرب فطنت إلى موطن الفساد وسوء العقيدة .. فاتخذوا العزلة طريقا للأمان .. إلى أن هدتهم الفطرة السليمة إلى الإيمان بالبعث والوحدانية ، فخرجوا يدعون الناس على طريق ما تبقى من تعاليم أبيهم إبراهيم .. وقد عرفنا من هؤلاء أمية بن أبي الصلت ، وورقة بن نوفل ، وقس ابن ساعدة ، وغيرهم من الحنفاء .

الحياة الاجتماعية :

عاش معظم العرب بدوا رحلا يتبعون منابع الماء .. وقد ترتب على ذلك أنهم عاشوا حياة غير مستقرة .. ظهر أثرها في أدبهم بصورة واضحة .

فقد دعتهم طبيعة الجدب إلى أن يتقاتلوا على العيش ، الأمر الذي شجع فيهم نوازع العصبية القبلية .. كما دفعهم إلى كثرة الحروب والمعارك التي شغلت جانبا كبيرا من حياتهم .. وكان لها أثرها على معايشهم وقيمهم وأخلاقهم .

ولذلك لا نعجب إذا وجدنا من بينهم من يجعل الظلم قيمة عليا يدين بها ويخضع لها ويدفعه زهوه بظلمه إلى أن يحتقر الآخرين لأنهم لا يتمتعون بمثل ما تمتع به من سطوة الجبروت .

فهذا عمرو بن كلثوم يقول مفتخرا بتلك الرزيلة :

بغاة ، ظالمين ، وما ظلمنا ، ولكنا سنبدأ ظالمينا

فإذا تعرضوا للعدوان ، واجهوه بأعنف منه ، وكانوا أكثر شراسة في الرد على من اعتدى عليهم ، استمع إليه يقول :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وما كان ذلك في الواقع العربي إلا مظهرا من مظاهر انهيار أخلاق الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها .

ومن هنا وجدنا تلك المجتمع يموج بكل ما هو رديء من السلوك والأخلاق فقد انتشر البغاء وراج أمره ، عندما عرف المجتمع صاحبات الرايات الحمر ، ونكاح المتعة والاستبضاع ، واتخاذ الاخدان .

كما شاع الربا وأدى إلى دحر الحياة الاجتماعية .. حيث تحول المجتمع إلى طبقات .. أغنياء وفقراء .. وعبيد .. فقد انتشر الرق في مكة حتى أصبحت غاصة بالعبيد من الحبشة والسودان ، والرومان ، والفرس ، والغساسنة وعرب الحيرة ... هذه البضاعة التي استوردتها قريش من الخارج .. وإن كانت تابعة تؤمر فتطيع ، وتكلف فتستجيب . إلا أنها كانت بضاعة حية ، لها قلب نابض ، ودماغ يعمل ، ولبعضها علم ومعرفة تفوق معرفة أصحابها المالكين لها . الأمر الذي جعلها تؤثر في حضارة العرب وفي معتقداتهم .. لأنهم جاءوا من بلادهم – أو جيء بهم - وهم أصحاب حضارة .

وكانت المرأة ذات أثر كبير في حياة العربي ، حيث كانت تقوم بمساعدته في أعماله في حله وترحاله .. كما كانت تحمسه في القتال .. فإذا فارقته أو فارقها بكى لوعة .. وجاشت عواطفه بأرق الغزل .. وما كانت افتتاحيات القصائد إلا تعبيرا عن مكانة المرأة في قلب العربي .

وكما رقت قلوب بعضهم كان البعض الآخر قاسيا عندما كان يقوم بوأد الفتاة خوف الفقر والعار أو كلاهما معا .

وإلى جانب ما ذكر من فساد أخلاقي انتشرت الخمر ، وأسرف الكثيرون في تعاطيها ، ووصف مباهجهم بها . يقول عنترة :

وإذا شربت فإنني مستهلك   مالي ، وعرضي وافر لم يكلم

وربما أسرف بعض الشباب في الشرب فلامه قومه واعتزلوه .. كما جاء في قول طرفة :

وما زال تشرابي الخمور ولذتي

وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي

إلى أن تحامتني العشيرة كلها

وأفردت إفراد البعير المعبد

وإلى جانب الخمر كان الميسر ، وكان الفراغ مدعاة لإهدار الزمن في أي شيء لا يفيد .

فما كانت قصة حياتهم في ليل أو نهار إلا عريدة فارغة ، وخواء مخيفا ، وسطحية سائجة .. تتخذ من القصص الفارسي ، الذي كان يحكي لهم في سمرهم الليلي في حلقات شتى .. حيث كان بعضهم يميل إلى سماع تلك القصص عن رستم واسفنديار ، بينما يميل آخرون إلى سماع قصص أيامهم وحروبهم ، وينقطع جانب منهم إلى سماع أحاديث اللهو والمجون .

فقد كان المجتمع العربي – في معظم فئاته وألوانه – مأخوذا بذلك اللهو الفارغ بتلك الحياة الخاوية ٠

إن كان ذلك لا يعني بالضرورة فراغ المجتمع العربي من عناصر أخرى كان لها دها وعلمها وأخلاقها العالية ، والتي استقرت في الفطرة البشرية ، والتي لا يخلو ن وجودها جيل ولا مكان ولا زمان ؛ متابعة لسنة الله – تعالى – في خلقه ٠٠ ولن جد لسنة الله تبديلا ٠

الحياة الأدبية

عاش العرب حياةً أدبية حافلة عبرت عن البيئة ، وعن الشخصية العربية أصدق عبير ، وذلك في صور وألوان مختلفة ، كان منها :

الخطابة :

يقول أبو عمر بن العلاء : كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر ، الذي يقيد مآثرهم ، ويفخم شأنهم ٠٠ فلما كثر الشعر والشعراء ، اتخذوا الشعر مكسبة ، ورحلوا إلى السوقة ، وانصرفوا إلى أعراض الناس ٠٠ صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ٠٠

ومن ذلك يتضح أن أدب الجاهلية عزف الخطابة ؛ لأن العرب مثل كل الناس لهم مواقفهم ، ولهم مشاكلهم الخاصة ، وفوق ذلك كانوا قوما محاربين ، وبعد الحرب –

عادة - تنعقد مؤتمرات الصلح ، كما أنهم كانوا أميين ، يحتاجون في السفارة إلى الملوك إلى الخطيب الفصيح ، المشهود له بالقول السديد ؛ ليبلغ عن أمته مطالبها ٠٠

وإلى جانب ذلك كان من تقاليدهم في الزواج أن يتعاقب خطباؤهم ، حيث يبتدىء أولا خطيب الفتى ، ثم يجيبه ولي أمر الفتاة ، وغير ذلك مما لا نستطيع إنكاره ٠٠ وإن كان لم يصلنا من الخطب إلا القليل ، ولكن في هذا القليل شاهدا ماديا على وجود هذا الفن النثري عند العرب ، خاصة عندما نسمع قيس ابن خارجة - وكان خطيبا بارعا - في حرب داحس والغبراء ٠٠ وقد سئل عما معه في حملات داحس فكان مما قال :

" عندي قرى كل نازل ، وأمان كل خائف ، وخطبة من لدن تطلع الشمس إلى أن تغرب ، آمر فيها بالتواصل ، وأنهي عن التقاطع " ٠

وينتهي كلام قيس وننتهي نحن إلى تقارير وجود هذا الفن الأدبي عند الجاهليين٠

وقد عرفنا بعضا من خطباء الحنفاء ، في مرحلة الإرهاص بميلاد الدعوة وذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك أنه رأي قس بن ساعدة يخطب في سوق " عكاظ " مبشرا باقتراب فجر النور ، على يد نبي يبعث ، يحقق مجد الحياة ٠

*الوصايا :

فن نثري يتسم بالصدق والموضوعية ، النصيحة فيه خالصة من الخداع والرياء ٠٠ وقد كانت تأتي عادة عند إحساس الإنسان بدنو أجله ٠٠ حيث يستدعي أبناءه

وعشيرته ، أو بعضا من الأبناء والعشيرة ، فيلقي عليهم ما يريد لهم من وصايا تحقق لهم حسن قيادة الحياة ٠ وقد تكون الوصية من أم إلى ابنتها ٠٠ أو لابنها عند السفر ٠

وتتضمن الوصية – غالبا – النظرة الصادقة ، والحكمة الصائبة ، والرأي الرشيد ٠

ومن ذلك ما قاله زهير لبنيه :

"إياكم والخور عند المصائب ٠٠ والتواكل عند النوائب ؛ فإن ذلك داعيه للغم وشماته للعدو ، وسوء ظن بالرب " ٠

***نثر الكهان :**

كان العرب – كما سبق أن أشرنا – يقدسون الأصنام ، ويتخذونها آلهة من دون الله ٠٠ وكان من يخدم هذه الأصنام يحتل في قلوبهم مكانا عظيما ٠٠ حيث يعطونه قدرا كبيرا من التجلة والاحترام ٠ وبمرور الزمن استغل هؤلاء الخدم هذه المكانة الدينية ٠٠ فجعلوا لأنفسهم قداسة ، وأحاطوا أنفسهم بهالة من الزيف تصوروها جلالا وكمالا ٠٠ حتى وصل الأمر ببعض الكهنة أن يقول لقومه :

"يا عبادي ٠٠ فكان أن أجابوه بقولهم : لبيك ربنا ٠٠

ومن هذا المنطق زعموا أنهم يعرفون الغيب ٠٠ ويقفون على أسرار الكون [١]

---

(١) انظر في تفصيل ذلك كتاب : بشائر النبوة في منظور السحار صـ١٤٧ وما بعداها – الطبعة الأولى ١٩٨٥ م ٠ د/ صفوت زيد

فالكاهن كان معروفا – عندهم – بانه الذي يخبر بالأمور قبل وقوعها ، ويدعي الأطلاع عليها ، وقد أنس الناس ذلك فيهم فاعتقدوا فيه • فكان الواحد من العرب إذا هم بأمر من الأمور ، أو رأي رؤيا منامية انطلق إلى كاهنه المفضل ، ليستنبئه الخبر ، ويقف منه على حقيقة ما يريد •• فإذا أشار عليه بشيء كانت تلك الإشارة أمرا مطاعا لا سبيل إلى التفكر فيه ، ولا إلى التخلي عنه • وظلت هذه الحرفة منتشرة بين العرب حتى أبطلها الإسلام •

ومن كهان العرب عرفنا (شافع – وشق – وسطيح – وسواد بن قارب – وبنت كريز – وسودة كاهنة بني زهرة) وغيرهم ممن كانوا يتخذون الجن ليسترقوا السمع لهم •

ورغبة منهم في أستمالة الناس •• كانوا يأتون بالكلام الغريب الغامض المسجوع المبدوء دائما بالايمان •

وقد ذكر صاحب (الأمالي) قصة خمسة نفر من طيء ، خرجوا إلى الكاهن سواد بن قارب وجاء في نثره لهم :

"والسماء والأرض ، والقرض والفرض ، والغمر والبرض ؛ إنكم لأهل الهضاب الشم ، والنخيل العم ، والصخور الصم ، من أجأ العيطاء ، وسلمى ذات الرقبة السطعاء " •

وهكذا نرى النص مليئا بالغموض ، يعتمد على السجع
على الغرابة ٠٠ وقد كان هذا شأن كلامهم في كل الأحوال ٠

* <u>الحكم والأمثال :</u>

تعبر الحكمة عن تجربة صادقة في الحياة ، اهتدى إليها صاحبها في حالة من صفاء الذهن ، وتوهج العقل ، فصدر عنها ناطقا بالحكمة أو بالمثل ، عن شفافية ، تجعل كلامه يتخطى حدود الزمان والمكان ، ليتجلى على الناس دائما ، في كل الأوقات والأماكن ٠

والحكمة والمثل ٠٠ قد عرفهما الأدب العربي في الجاهلية ، وكان حظها من التسجيل والحفظ أكثر من غيرهما من الفنون الأدبية ، وذلك لأسباب كثيرة منها : سهولة الحفظ ، وقصر العبارة ٠

وقد عرفت الحكمة طريقا إلى الشعر كثيرا ٠٠ وهناك كثير من الشعراء عرفوا بالحكمة ٠٠ وشاعت في أشعار كثيرين منهم ٠٠ واستمر صدور الشعراء عنها إلى اليوم ٠

أما في النثر فقد برزت في الأساليب الجاهلية بروزا واضحا ، وتجلت على ألسنة كثير من الحكماء ، الذين أشتهروا بسداد الرأي ، وصوب المنطق ، من ذلك مثلا :

"مقتل الرجل بين فكيه " ـو " رضا الناس غاية لا تدرك " ـو " إن البلاء موكل بالمنطق " ٠

والأمثال العربية نوعان : فرضية ، وحقيقة :

أما الفرضية فتأتي على لسان الحيوان خوفا من بطش حاكم ظالم

وأما الحقيقية فتأتي تعبيرا عن العبرة من موقف واقعي حدث بين الناس وكان خلاصة تجربة إنسانية واقعية ·

ومن ذلك قولهم :

" مواعيد عرقوب – وقولهم : " جزاء سنمار " ·

<u>الشعر :</u>

كان الشعر – ولا شك – أهم ألوان الفنون الأدبية التي عرفت في الجاهلية · لأنه كما قالوا : **" ديوان العرب وسجل مفاخرهم ومآثرهم "** فلم يكن للعرب أكرم منه مظهرا ، ولا أجل منه قدرا ، فقد جعلوه ديوانهم ، ومستودع أفكارهم ودليل مجد وفخار ·

فقد صالوا فيه وجالوا . وبه على غيرهم من الأمم استطالوا ، وإذا أردنا أن نعرف شيئا عن حياة العرب فعلينا بشعرهم ، فقد سجلوا فيه تاريخهم الممتد وتقاليدهم وعاداتهم والأعراف التي أقروها سلوكا لحياتهم ، وألوان دياناتهم وأخلاقهم ·· إذا كل ذلك سجله الشعر في صفحات ناصعة من البيان وفصاحة اللسان ، وما من مكان على أرض العرب إلا وكان للشعر فيه دولة وللشعراء بين الناس فيه منزلة ومكانة ···

وما من قبيلة عربية إلا وكان صوت الشعر فيها عاليا علو منزلته ، وساميا سمو مكانته .

ولهذا كان الشعراء في مقدمة الصفوف وجاهة وعلو طبقة ، ينظر الناس إليهم كما ينظرون إلى الملوك والقادة ، في شيء عظيم من التجلة والاحترام .ولما كان للشعر في حياة العرب هذه المنزلة وكان للشعراء عندهم تلك المكانة .. رأينا التاريخ الأدبي يسجل من صنوف هذا الفن وألوانه ، ما لا نظير له لدى أمه من الأمم .

أولوية الشعر العربي وأهميته

الشعر العربي مثل أي كائن حي يبدأ ضعيفا هزيلا ثم يأخذ في النضج والاستواء والناظر لبحوث الأدباء والمؤرخين ممن يعنيهم أمر الشعر يجد أنهم لم يتمكنوا من الوقوف على طفولته لأنه جاء إلينا مكتملا بتقاليده الفنية الملتزمة في قصائد الجاهليين إذ نراهم يفتتحونها بوصف الأطلال وبكاء آثار الديار ثم يعرجون على وصف الصحراء وما لاقوا فيها من عناء أثناء رحلاتهم . ثم ينطلقون إلى الغرض الذي من أجله بنيت القصيدة مدحا أو هجاء فخرا أو رثاء وذلك في إطار قائم على مجموعة من الأبيات المعتمدة على وزن محدد وقافية ملتزم بها حتى نهاية القصيدة .

* * *

على أن هذا لا يمنع أن يجد الباحث فيما وصل إلينا من قصائد أخطاء في الوزن أو القافية على نحو ما جاء في قصيدة المرقش الأكبر :

هل بالديار أن تجيب صمم

لو كان رسم ناطقا كلم

فهي من وزن السريع وخرجت شطور بعض أبياتها على هذا الوزن كالشطر الثاني من البيت الذي يقول فيه :

ما ذنبنا في أن غزا ملك

من آل جفنة حازم مرغم

ومثلها في هذا الاضطراب قصيدة عبيد بن الأبرص :

أفقر من أهله ملحوب

فالقضبيات فالذنوب

فهي من مخلع البسيط – وفيها اضطراب في الوزن ليس بالقليل والشطر الأول من مطلعها دليل على ذلك ٠

وها هو النابغة الذبياني " شيخ الشعراء " وقاضيهم يقول :

أمن آل مية رائح أو مغتدي

عجلان ذا زاد وغير مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غدا

وبذاك خبرنا الغراب الأسود

فنجد أن البيتين أختلفا في تشكيل الحرف الأخير في كل منهما فالأول مكسور والآخر مضموم وهذا يعد عيبا من عيوب القافية يسمونه " الإقواء " ٠

****

ومثل هذه الاضطرابات لا تعد دليلا على وجود ظواهر لطفولة الشعر أو لتمثيل طور من أطوار نموه وازدهاره لأن ما ثبت في بعض قصائدهم من عيوب يمثل حالات نادرة ومعظم ما قالوا من قصائد وأشعار لا نجد فيها خللا أو اضطرابا ٠

هذه ناحية وناحية أخرى أن من شهد لهم بأنهم أقدم الشعراء الذين عرفناهم صرحوا في شعرهم بأن ما يقولونه يرجع إلى اقتفاء أقوال من سبقوهم أو تكريره فهذا امرؤ القيس يقول :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا

نبكي الديار كما بكي ابن حزام

وزهير يقول :

ما نرانا نقـول إلا معـارا

أو معادا من قولنا مكرورا

وعنترة بن شداد يقول :

هل غادر الشعراء من مترنم

أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟

*****

أهمية الشعر عند العرب

احتل الشعر مكانة سامية ومنزلة رفيعة في قلوب الناس نظرا لأهميته ففي العصر الجاهلي كان العربي مطبوعا على الأنفة وحب الاستعلاء حريصا على ذيوع شهرته فكان الأثرياء منهم يغرون الشعراء بمدحهم مقابل الجزيل من العطايا والهبات لأنه ليس هناك من وسيلة لتحقيق ما يحرصون عليه سوى الشعر ٠

وممن حرصوا على إغراء الشعراء " النعمان بن المنذر " رغبة في رواج شهرته وذيوع صيته بين العرب وكان " النابغة الذبياني " ممن خصبوا النعمان بمدائحهم ومما مدح به قول حجر بن خالد :

سمعت بفعل الفاعلين فلم أجد

كفعل أبي قابوس حزما ونائلا

يساق الغمام الغر من كل بلدة

إليك فأضحى حول بيتك نازلا

فإن أنت تهلك يهلك الباع والندى

وتضحي قلوص الحمد جرباء حائلا[1]

وكثيرا ما رفع الشعر أقواما ووضع آخرين وها هو – المحلق الكلابي – يذاع صيته بين العرب ويقبل سادة العرب على بناته وكن من العوانس لخمول ذكر المحلق وما ذلك إلا لمدح الأعشى له بقصيدة قال فيها :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة

إلى ضوء نار باليفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها

وبات على النار الندى والمحلق

---

(١) الحيوان ٥٨/٣ – الباع : الشرف – القلوص : الناقة الشابة – الحائل التي حمل عليها فلم تلقح

ولهذا كانوا يخشون من فعل الهجاء ويعملون جاهدين على تجنب أسبابه – ويروى أن رجلا يسمى " زرعة بن ثوب " خدع غلاما من عشيرة " مزرد بن ضرار الشاعر " يسمى " خالدا " كان يرعى إبلا لأبويه فاشتراها منه بغنم واستاقها ورجع الغلام إلى ابويه فأخبرهما بما فعل فقال أبوه : هلكت والله وأهلكتنا وركب إلى " مزرد " وقص عليه القصة فقال : مزرد " أنا ضامن لك أن ترد عليك بأعيانها وأنشأ قصيدة طويلة يتوعد فيها " زرعة " إن لم يرد الإبل وإن لم ترد فستكون نارا تأتي على الأخضر واليابس ومما قاله :

فيا آل ثــوب إنما زود خالد

كنار اللظى لا خير في زود خالد (١)

*****

وحرصت القبائل العربية على أن تذيع بين العرب فخرها بحسبها ونسبها وتغنيها بانتصاراتها وقوتها والشاعر وحده هو القادر على ذلك والقادر أيضا على حماية أعراضها والرد على خصومها ٠٠ "لهذا كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس ويتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم – وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج وإذا لم

---

(١) المفضليات ٧٩ ٠

ينبغ فيهم شاعر التمست لها شاعرا تلحقه بها وتنسبه إليها وذلك كما حدث - لقيس- حين ألحقت بها " أشجع السلمي " وكانت قبل ذلك قد أنكرته (١)

****

وأنت مكانة الشعر عند العرب أن تنافست القبائل العربية في نسبة بداية الشعر إليها فقالوا :

بدىء الشعر بكندة يعنون أمرأ القيس وختم بكندة يعنون أبا الطيب وقالوا :

بدئ الشعر بملك وختم بملك يعنون أمرأ القيس وأبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان •• ومنهم من يبدؤه بالمهلهل ويختمه بذي الرمة وهما من ربيعة (٢) •

***

وبظهور الإسلام وجدت أسباب قوت من تيار الشعر حينئذ وكلنا نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - تحمل بصدق وأمانة تبليغ الدعوة فسلك في سبيلها كل مسلك يتفق مع نبله وخلقه فما كان من أعداء الدعوة إلا أن تعرضوا له بكل أنواع البلاء وصنوف الإيذاء •

وكان الشعر من الوسائل التي حاولوا النيل بها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فما كان من رسول الله إلا أن أشار على بعض من شعراء المسلمين أن يقابلوا

---

(١) المفضليات ٧٩ •

شعر القرشيين بالرد عليه وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعلم مدى تأثير الشعر على نفوس القريشيين وممن تصدوا لهذه المسئولية " حسان بن ثابت " الذي ما إن سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم – يقول للأنصار : ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ حتى قال : أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال : والله ما يسرني به مقول بين بصري وصنعاء " [١]

وعرف حسان بن ثابت كيف يوجع القرشيين بلسانه وذلك بتناوله لأحسابهم وسيرتهم وكشف ما فيها من عيوب ومثالب وكثيرا ما كان يذهب إلى " أبي بكر الصديق " ليتزود من أخبارهم ويعرف هناتهم " ٠

وكان رسول الله يعلم مدى وقع شعر حسان على نفوسهم ومكانتهم وكثيرا ما حثه على المضي فيما يذهب إليه ومما قاله له : اهجهم فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام أهجهم ومعك جبريل روح القدس والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات ٠

وممن تصدوا لشعراء قريش مع حسان بن ثابت ٠" عبد الله ابن رواحه " و " كعب بن مالك " ويرى أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى واستشفى ٠ ويلاحظ أنه وجد من النساء من ساهمن في الرد على شعراء قريش ومنهم صفية بنت عبد المطلب وهند بنت أثاثة وميمونة بنت عبد الله كما أنه وجد مع شعراء قريش شاعرات ساهمن في هجاء الإسلام والمسلمين وممن عرف من

(١) الأغاني ٤ / ١٣٧ ٠

شعرائهم وشاعراتهم ٠٠ عبد الله ابن الزبعري وضرار بن الخطاب الفهري وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وأمية بن أبي الصلت وعصماء بنت مروان وصفية بنت مسافر وهند بنت عتبة ٠

****

ولم يقف الشعر بين الفريقين عند حد الهجوم والدفاع وإنما تناول أيضا الهزائم والانتصارات في الحروب التي دارت بين رسول الله والمشركين ٠

وقد اهتمت أمهات الكتب الأدبية برصيد ما قيل من شعر بين شعراء المسلمين وشعراء المشركين ٠ ومنها كتاب " طبقات فحول الشعراء " لابن سلام " والأغاني " للأصفهاني ٠ ومما قاله ابن سلام عن حسان بن ثابت : إن أول ما جرى به لسانه حين سلة على قريش هذه الأبيات يتحدى بها أبا سفيان بن الحارث أحد شعرائهم :

هجوت محمدا فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

وذكر ابن سلام قصيدة لابن الزبعري يفخر فيها بانتصار قريش على المسلمين في أحد وثأرهم لقتلاهم في بدر ومما قاله :

لَيتَ أشياخي ببدرٍ شهدوا ... ضَجَرَ الخزرج من وَقْعِ الأسَلْ

حين ألْقَتْ بقباء بَرْكَها ... فاستحَرَّ القتلُ في عَبْدِ الأشَلْ

فقبِلنا النِّصفَ من ساداتِهِمْ   وعَدَلنا مَيْلَ بدرٍ فاعتدل[1]

ومما قاله كعب بن مالك مشيدا بانتصار المسلمين في غزوة الخندق :

فـي عُصْبـةٍ نصَرَ الإلـهُ نبيهم   بهـم وكـان بعـده ذا مرفـق
نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرن بخَطْونا   قُدمـا ونُلحِقهـا إذا لـم تَلْحَقِ
فترى الجماجم ضاحياً هاماتها   بلـه الأكـف كأنهـا لـم تُخلَـقِ
ويعيننـا الله العـزيـزُ بقـوةٍ   منهُ وصدقِ الصبر ساعةَ نلتقي
إن الـذين يكذبـون محمـداً   كفروا وضلوا عن سبيل المتقي.

وممن ذكرهم ابن سلام عبد الله بن رواحة وكيف ضحى بنفسه في ميدان اللسان والسنان حتى قتل شهيدا في غزوة " مؤته " ومما قاله في هجائه لقريش :

نُجالدُ الناسَ عن عُرْضٍ فنأسِرُهم
فينـا النبـيُّ وفينـا تنـزل السورُ
وقد علمتـم بأنـا ليـس غالبَنـا
حيٌّ من النَّاس إن عَزُّوا وأن كثُروا
يا هاشمَ الخيـرِ إنَّ الله فضلكـم
علـى البـريَّةِ فضـلاً مـا لـه غِيَرُ
فثبتَ اللهُ ما آتـاك مِـن حَسَـنٍ
تثبيتَ موسى ونصْراً كالذي نُصِروا

---

(١) الأسل : الرماح – قباء : اسم مكان – استحر : اشتد – النصف : الانتصاف .

ويأبى الله إلا أن يقوى تيار الشعر الإسلامي وتتراجع أمامه تحديات الشعراء القرشيين وغيرهم بإهدار دم بعضهم من قبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقتلهم من هؤلاء عبد الله بن خطل القرشي وعصماء بنت مروان وكعب بن الأشرف وأبو رافع سلام بن أبي الحقيق .

والبعض الآخر حرص معظمه على أعتناق الإسلام وإعلان توبته أمام رسول الله وانطلق يشيد بالإسلام متغنيا بتعاليمه وسموه ومن هؤلاء أبو سفيان بن الحارث وقد نظم أشعارا كثيرة في الإشادة بالإسلام والندم على ما فرط في جنب الله ورسوله ومما قاله :

لَعَمْرُكَ إنّي يومَ أَحْمِلُ رايةً
لِتَغْلِبَ خيلَ اللاتِ خيلُ محمدِ
لَكَالمُدْلِجِ الحيرانِ أظلمَ ليلُهُ
فهذا أوانُ حينَ أُهْدَى وأهتدي

ومما قاله أبو عزة الجمحي – "وكان من ألد أعداء الإسلام والمسلمين " – مادحا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

مَنْ مُبلغٌ عنّي الرسولَ محمدا
بأنّكَ حقٌّ والمليكَ حميدُ
وأنتَ امرؤٌ تدعو إلى الرُّشْدِ والتُّقى
عليكَ من اللهِ الكريمِ شهيدُ

وإنك مَنْ حاربته لمحاربٌ
شقيٌّ ومَنْ سالمته لسعيدُ

ولكنْ إذا ذكرتُ بدراً وأهلها
تأوبُ ما بي : حسرةٌ وتعودُ

ومما قاله كعب بن زهير في اعتذاره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من الذين أهدر دمهم :

أُنبئتُ أنّ رسولَ اللهِ أوعدني
والعفوُ عندَ رسولِ اللهِ مأمول

مَهْلاً هداكَ الذي أعطاكَ نافلةَ الـ
ـقرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ

لا تأخذني بأقوالِ الوشاةِ ولَمْ
أذنبْ ولو كثرتْ فيَ الأقاويلُ

إنّ الرسولَ لنورٌ يستضاءُ بهِ
مهندٌ مِن سيوفِ اللهِ مسلول

وإذا كان الشعر في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد توافرت له من الأسباب والدوافع ما جعلته يقوى ويشتد فإنه في عهد الخلفاء الراشدين كان كذلك إذ ساهم شعراء المسلمين في ذيوع ما كان عليه الخلفاء من اقتدائهم برسول الله في سلوكهم الشخصي وتعاملهم مع الرعية هذا فضلا عن الإشادة بما يحققونه للإسلام من انتصارات وفتوحات ... ولم يحدث أن رفض خليفة شعر شاعر ما دام ملتزما بآداب

الإسلام وأخلاقياته بل إن منهم من كان يشجع الشعراء ويقف من شعرهم موقف الناقد ٠

وقد روى عن عمر بن الخطاب أنه كان يفضل زهيرا ويعتبرة شاعرا الشعراء لأنه كان لا يعاظل في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر ولا يمدح الرجل إلا بما فيه ٠ وكثيرا ما كان عمر – رضي الله عنه – يتأثر بالشعر ويستجيب لطلب قائلة ومما روى في ذلك ٠٠ أن المخبل السعدي جزع جزعا شديدا حين هاجر ابنه شيبان لحرب الفرس مع سعد بن أبي وقاص وكان قد أسن وضعف فمضى إلى عمر وأنشدة أبياتا يقول فيها :

إذا قال صحبي ياربيع ألا ترى

أرى الشخص كالشخصين وهو قريب

ويخبرني شيبان أن لا يعقني

تعـق إذا فـارقتني وتحـوب

فرق له عمر وكتب إلى سعد بن ابي وقاص يأمره أن يرد شيبان إلى أبيه فرده إليه ولم يزل عنده حتى مات [١]

ومن هذا المنطلق تعلق شعراء المسلمين بالخلفاء ووقفوا لرصد ما يحدث في المجتمع من انتصارات وأحداث وتسجيلها في أشعارهم وكان هذا التعليق واضحا في

---

(١) الأغاني ١٣/١٩٠ ٠

رثائهم للخلفاء رثاء يعبر عن لوعة صادقة وحزن متأجج ومما قاله حسان بن ثابت في رثائه لأبي بكر الصديق (١)

إذا تذكــرتَ شَجْـواً من أخي ثقةٍ

فاذكُرْ أخَـاك أبَا بكـرٍ بِمَـا فَعَـلا

التَالــي الثانــي المحمودُ سيرتَه

وأولُ الناسِ منْهمْ صدّقَ الرسَلا

وثاني أثنينِ في الغَارِ المَنيف وَقَدْ

طَاف العدوُ بِهِ إذا صَعد الجَبـلا

وكان حبُ رسولِ الله قد عَلِمـوا

خير البرية لم يعدل بــه رجـلا

ومما قيل في رثاء عمر بن الخطاب :

جزى الله خيرًا من أميرٍ وباركت

يــداك فــي ذاك الأديم الممزق

فمن يسعَ أو يركبْ جناحي نعامة

ليدرك ما حاولت بالأمس يسبق

قضيـتَ أمـوراً ثم غادرتَ بعدَها

بوائق في أكمامهــا لــم تفتــق

---

(١) الأغاني ١٥٨/٩ ـ الأديم : الجلد ـ البوائق : الدواهي .

ومما قاله أبو الأسود الدعولي في رثائه لعلي بن أبي طالب :[١]

أفي شهر الصيام فجعتمونـــا
بخير الناس طـرا أجمعينـا
قتلتم خير من ركب المطايـــا
وخيلسها ومن ركب السفينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين
رأيت البدر راق الناظرينـا
لقد علمت قريش حيث حلت
بأنك خيرها حسبـا ودينـا

ومما قاله أيمن بن خريم في رثاء عثمان بن عفان :[٢]

ضحوا بعثمان في الشهر الحرام ضحى
وأي ذبـح حـرام لهـم ذبحـوا
إن الذيــن تـولـــوا قتلــــه سفهـــا
لاقوا أثاما وخسرانا فما ذبحـوا
مــــاذا أرادوا أضــــل الله سعيـهـم
بسفحهم للدم الذاكي الذي سفحوا

---

(١) الأغاني ٣٢٩/١٢ ـ خيسها : ذللها

(٢) المبرد ٤٤٥ .

ومن خلال تتبع النشاط الشعري في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والخلفاء الراشدين ومقارنته بما كان عليه في العصر الجاهلي يتبين لنا أنه لم يخمد في الإسلام بل قوي واشتد ٠٠ وأن الذين زعموا أن الإسلام قلل من شأن الشعر والشعراء مما كان له أثره في خمود الإنتاج الشعري واعتمدوا في ذلك على أدلة أهمها قول الله عز وجل : "**والشعراء يتبعهم الغاوون** " فالحكم القرآني ليس عاما على جميع الشعراء – كما ظن هؤلاء – وإنما على من يظلمون الناس وينسبون ما ليس فيهم ٠

ويكفينا ذكر ما ورد في القرطبي من أنه حينما نزلت هذه الآية جاء " حسان بن ثابت " و " كعب بن مالك " و" عبد الله بن رواحة " يبكون إلى النبي صلى الله عليه وسلم – فقالوا : يا نبي الله أنزل الله تعالى هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء فقال : اقرءوا ما بعدها : "**إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ٠٠** " الآية ثم قال لهم :انتصروا ولا تقولوا إلا حقا ولا تذكروا الآباء والأمهات ٠

موضوعات الشعر وتمثيلها للحياة العربية

تتحدد موضوعات الشعر في كل بيئة من خلال الظروف التي تعيشها تلك البيئة ، فالإنسان الشاعر عندما يعبر عن هواجس نفسه وطموحات أحلامه فإنما ينطلق من عالمه الذي يتنفس فيه والذي يمارس على أرضه حركة الحياة وطبيعة الحياة العربية على أرضها شكلت حركة الفن الشعري في الشكل والمضمون على السواء ...

حيث المجال فسيح ، والصحراء ممتدة ، والسماء بما يزينها من شموس وأقمار وكواكب تتراءى للعين ، فتبتهج النفس وتدفع إلى التأمل ..

وقد كان أكثر موضوعات الشعر شيوعا في تلك البيئة ما يلي :

١. المدح :

وهو فن الثناء والإكبار والإجلال والإحترام ، وفيه يتناول الشاعر من يمدحه من زعماء القبائل أو النابغين من فرسان العرب ومن الأمراء .. بالثناء والإطراء . وكانت صفات الممدوح تتمثل – غالبا – في عدد من السجايا الحميدة التي انبعثت من ظروف حياته .. فإذا كان الفقر قد سيطر عليها – في معظم الأحوال .. فإن صفة الكرم ستكون في الصدارة من صفات الممدوح .

كما أن البيئة الصحراوية وعدم الاستقرار .. وكثرة التنقل حيث توجد الأعشاب . وما قد يصادف الإنسان العربي في رحلته من مخاطر ومخاوف ، فضلا عن تلك الرهبة التي أوجدها في نفسه ذلك الاتساع الهائل في المحيط الذي يتحرك فيه .. كل

ذلك جعل إغاثة الملهوف والشجاعة وحماية الجار من أبرز السمات التي يمتدح بها العربي ، ويتغنى بصيانته لها – والوفاء بما يخصها ، مهما كلفه ذلك من تضحيات ؛ ولهذا كانت هذه الصفات في حق الممدوحين أعلى وأسمى من الرتب والنياشين التي تعطى للنابهين في العصر الحديث

ومن جميل ما قيل في المديح لهذا العصر قول النابغة في مدح النعمان ابن المنذر :

أَلَم تَرَ أَنَّ اللهَ أَعطاكَ سُورَةً
تَرى كُلَّ مَلْكٍ دُونَها يَتَذَبذَبُ
فَإِنَّكَ شَمسٌ وَالمُلوكُ كَواكِبٌ
إِذا طَلَعَتْ لَم يَبدُ مِنهُنَّ كَوكَبُ

وقول زهير بن أبي سلمى في بني حارثة :

وفيهم مقامات حسان وجوهها
وأندية ينتابهــا القــول والفعل
على مكثريهم حق من يعتريهم
وعند المقليـــن السماحــة والبذل
وإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم
مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل
وإن قام منهم قائم قال قاعدا :
رشدت فلا غــرم عليــك ولا خذل

وما يك من خير أتوه فإنما

توارثه آباء آبائهم قبل

فالشاعر في هذا النص قد نعت بنى حارثة بكل ما يحقق لهم الرفعة والفخار ويجعلهم يرفعون رؤوسهم إلى عنان السماء ٠٠ فهم قوم حسان الوجوه يطابق كلامهم فعلهم ، فهم لا يكتفون بالحديث فقط وإنما يقرنونه بالعمل ٠٠ وهم جميعا قد جبلوا على الخير أغنيَاء وفقراء ٠٠ فأغنياؤهم عليهم حق الإعالة والكرم لكل قادم ومريد ٠٠ أما فقراؤهم فخلقهم السماحة واللين ، وإذا كان في المال قل فهم على استعداد لبذل النفس والروح ٠ وهم قوم عقلاء ينصرون زعماءهم ، ويقفون خلف قادتهم غير متخاذلين ولا مقصرين ٠٠

وهم في كل ما يصدرون عنه من جميل المحامد وروائع السجايا متابعون لآبائهم وأجدادهم ٠٠ ذرية بعضها من بعض في تواصل لا يعيبه انقطاع

هذا ، ومما تجدر الإشارة إليه أن السجايا العربية متعددة وكثيرة ، وقد تناولها الشعراء في هذا الفن بما يتلاءم مع ظروف الممدوح ومقامه ، ولهذا لم [illegible] على صفات [illegible] والكرم ، وإنما شمل كل ما يفيد [illegible] مما يصلح نعتا للبشر ٠٠ ويتلاءم مع فضائل البيئة وأعراف الخير فيها

٢ - الفخر والحماسة

الأثرة وحب النفس طبيعة بشرية ، فكل إنسان يحب نفسه ، يعشق ذاته ٠٠ ويمجد فيها من الصفات ما يعلي قدرها عند الناس ٠

وقلما تجد إنسانا لا يتحدث عن نفسه بكل ما هو جميل ورائع فهو دائما الحائز على قصب السبق وصاحب الصدارة ، أما غيره من سائر الناس فتخب هواء ٠

هذه هي طبيعة البشر ٠٠ إنهم يسيرون في الحياة محكومين بمنطق (الأنا) ٠٠ و(الأنا) أنانية ، وأثرة ، وعشق للذات ، وتأليه للنفس ، فالناس – دائما – في حديثهم عن أنفسهم يبرزون فيها من المحاسن ما يتصفون به وما لا يتصفون به ، بل ويحولون مساوءهم إلى محاسن ، ويبذلون في سبيل ذلك كل ما هو متاح من فنون القول وألوان الإبداع ، فإذا كان من ذلك شيء مسطور من منطوق شاعر فهو الفخر ٠

وهذا اللون من الشعر يتلون بلون العصر الذي يعبر عنه ،ويستمد عناصره من البيئة التي يعيش فيها ٠٠ ولهذا كان الفخر العربي معبرا في كل عصوره عن طبيعة الحياة العربية وما فرضته وخلقته من مثل تحددت في عصر الجاهلية في الكرم والشجاعة والمروءة والنجدة والأمانة والوفاء ٠٠ إلخ

ولعل من غريب ما يذكر أن العربي في بعض طبقاته افتخر بالظلم والبغي ومجاوزة الحد والجهل على الناس مما نجد في شعر عمرو بن كلثوم وغيره من أصحاب الصوت العالي في الجاهلية ٠

ومنه يقول :

ألا لا يجهلــن أحـد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ملأنا البر حتــى ضــاق عنــا

ومــاء البحـر نملؤه سفينا

ونشرب إن وردنا الماء صفوا

ويشرب غيرنا كدرا وطينا

بغاة ظالميـن ومـــا ظلمنـــا

ولكنـــا سنبـدأ ظالمينـــا

إذا بلــغ الرضيــع لنــا فطاما

تخر له الجبابر ساجدينـــا

فإذا كان الحديث عن البطولة والأبطال والشجاعة والإقدام في مقام يستدعي ذلك فهذه هي الحماسة ، ومنها قول عنترة :

هــلا سألت الخيل يا بنة مالك

إن كنــت جاهلــة بمــا لــم تعلم

يخبرك من شهد الوقائع أنني

أغشى الوغى وأعف عند المغنم

لما رأيت القـوم أقبل جمعهم

يتذامرون كررت غير مذمم

يدعون عنتر والرماح كأنها

أشطان بئر في لبان الأدهم

مازلت أرميهم بغرة وجهه

ولبانه حتى تسربل بالدم [١]

إن عنترة في هذا النص فارس مغوار عاشق متبتل في محراب الحب ٠٠ وإنه ليسعده أن يذكر محبوبته دائما بالبطولة التي يتصف بها ٠٠ وهو هنا يخبرها في رسالة غرامية عاجلة ٠٠ أنه فارس وعظيم ٠٠ فإن كانت في شك من ذلك فما عليها إلا أن تسأل الخيل فعليها وبها يتم النزال ٠

فإذا لم تسعفها الخيل ، فشهود الإثبات ممن حضر الوقائع لن ينكروا ما شهدوا وما عرفوا ٠٠ وقد عرفوا أنني لا أتهيب الحرب ، ولا أخاف النزال ٠٠ فإذا تحقق النصر وتم الاندحار للأعداء ٠٠ وكنت عفيفا لا مطمع لي في غنيمة أو عطاء ٠

---

(١) يتذامرون : يحرض بعضهم بعضا على القتال ٠ الاشطان : جمع شطن ٠٠ حبل البئر وبه شبه الرمح لطوله ٠ اللبان : الصدر ٠

ثم يذكر لها واحدة من معاركه وما حقق فيها من الانتصارات غير هياب ولا وجل ٠٠ وإنما في شجاعة لا نظير لها في عالم الفروسية والبطولة ٠

الرثاء :

فن التفجع على الميت بذكر مآثره ومناقبه وما خسرت الحياة بفقده ، ويختلف باختلاف الميت وطبقته ٠

- فإذا كان الميت ذا صلة قريبة بالشاعر ، كان الشعر في منتهى الصدق والروعة ويمثل ذلك ما قيل في رثاء الأبناء ٠

- وإذا كان الميت ملكا أو صاحب سلطان كان الرثاء يميل إلى المبالغة في القول والتهويل في إضفاء جو من المهابة لا يتلاءم مع الصدق ٠

وقد يتخذ الرثاء وسيلة إلى التحريض على الثأر ، كما في شعر المهلهل ابن ربيعة

وقد اشتركت النساء مع الرجال في هذا الفن ، كما حدث من الخنساء ،ومن الرثاء قولها :

فالعين تبكي على صخر وحق لها

ودونها من جديد الأرض أستار

وإن صخرا لتأتم الهداة بـه

كأنه علم في رأسه نار

وقد كانت الخنساء واحدة من فضليات العرب فنبه شأنها وعلا مكانها ، في جاهليتها وإسلامها ٠٠٠ وقد كانت بكائياتها في رثاء ذويها غاية في الصدق والجودة وحرارة المشاعر ٠٠ وهي هنا في هذين البيتين تخبرنا أن بكاء العين على شقيقها صخر حق واجب ، فهو نعم الأخ ونعم الشقيق ٠٠ وقد كانت المرأة العربية تعتز كثيرا بالأخ لأنه السند والظهير ٠٠

فالخنساء عندما تبكي تجد أن ذلك بعضا من الوفاء لأعز إنسان في حياتها ٠٠ وكيف لا تبكي وليس بينها وبينه إلا تلك الحجارة التي تواري بين جنباتها في حفرته ٠٠ وقد كان ذائع الصيت كريم الضيافة ٠٠ إنه سبيل هداية ورمز أمان ٠

قيم الخير في الحياة الجاهلية

ولا نستطيع إغفال أصوات ترددت في الحياة الجاهلية ، تحمل منطق الصواب ، معبرة عن الجانب الخيري في الفطرة البشرية ، التي كان لابد من وجودها كي تكون سراجا من نور ممتد وسط ضباب تلك الحياة ٠ ومما يموج فيها من صخب وضجيج ٠٠ الأمر الذي يؤكد أن الحياة الجاهلية لم تخل من صوت الحكمة التي جاءت أحيانا من منطلق عاطفة فطرية تسكن في القلوب ، وإن حاولت كل المباهج إبعادها عن تيار التوجيه ، إلا أنها انطلقت معبرة عن جانب لا يمكن إغفاله ٠٠ في مجال العرض الأدبي للحياة ٠

فقد وجدنا قيم الخير في بعض الأحيان معلنة عن نفسها دون خفاء ٠٠ في أشعار بعض الشعراء ٠٠ تأكيدا لما سبق أن أشرنا إليه من أن فطرة الخير ٠٠ لا يمكن أن تتخلف عن ركب الحركة البشرية حتى في أحلك عصور الجهل والسفه ٠

فهذا طرفة بن العبد ، يعلن :

والصدق يألفه اللبيب المرتجي

والكذب يألفه الدنيء الأخيب

واستمع معي إن شئت إلى قيس بن الحطيم وهو يتحدث عن المال والأخلاق [١]

---

(١) ديوانه : صـ٧٤ ٠

فمـا المال والأخـلاق إلا معـارة

فما استطعت من معروفهـا فتزود

متـى ما تقدم بالباطل الحق يأبه

وإن قدمت بالحـق الرواسي تنقذ

ومتى ما أتيت الأمر من غير بابه

ضللت ، وإن تدخل من الباب تهتد

فهو يدعو إلى التزود بالمال والأخلاق ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلا ٠٠ ولكن في غير حرص ولا بغى في جمع المال أو في إنفاقه ؛ لأنه عارية مستردة ، وظل زائل ٠٠ أما الأخلاق فمنها ما هو زائف لا يفيد الناس شيئا ، ومنها ما هو مطلب الحياة العالية ، والتوجه الرشيد ٠٠ ولا يكون ذلك إلا في طيب الأخلاق وكريمها ٠٠

ومن تلك الأخلاق الكريمة ٠٠ أن يجعل الحق رائده ، ويهجر الباطل لما فيه من فساد وإفساد ٠٠ فالحق دائما يعلو ولا يعلى عليه ، وهو في علوه يمكن الإنسان من أسباب القوة ، ويجعله بين الناس مهيب الجانب ، واضح العزيمة ٠

كما أنه من الأخلاق الكريمة أيضا ان يتسم الإنسان بالصراحة والوضوح ، فيأتي الأمور من أبوبها بعيدا عن الخداع والزيف ، فهذا توجه الشرفاء في كل وقت وحين ٠

كما وجدنا التراحم الإنساني ، والحث على تأكيد الصلات بين الناس بالود والمرحمة ٠في قول طرفة بن العبد :

إذا أنت لم تنفع بودك أهله

ولم تنك بالبؤس عدوك فابعد

وفي قول زهير بن أبي سلمى :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله

على قومه يستغن عنه ويذمم

ولا نعجب – أيضا – إذا رأينا من الجاهليين من يوجه الهمة إلى إيثار الخير والمعروف ، وادخار صالحات الأعمال ليوم سيكون فيه الجزاء على ما قدم الإنسان نجد شيئا من ذلك في قوله طرفة :

لعمرك ما الأيام إلا معارة

فما استطعت من معروفها فتزود

على الرغم من أنه كان عبثي النظرة إلى الحياة ٠٠ لا يؤمن بحساب ولا بعقاب ، وهذا دليل على الحيرة ٠٠ وإن كان لا يتناقض مع توجه الفطرة الدينية الراسخة في نفوس البشر ٠

واقرأ معى أن شئت ما جاد به الشاعر ذو الإصبع العدواني عن الجزاء [١]

---

(١) المفضليات : صـ٣٢٤ ٠

إن الذي يقبض الدنيا ويبسطها

إن كان أغناك عنى سوف يغنيني

الله يعلمنــي ، والله يعلمكـــم

والله يجزيكم عنى ، ويجزيني

كما وجدنا الحكمة الرشيدة في الدعوة إلى الحلم وقوة التحمل ، وأن يطلب الناس حاجاتهم بعزة لا تعرف الخضوع إلا لجلال الله تعالى .

فهذا قيس بن خفاف يقول (١)

وإذا افتقرت فلا تكن متخشعا

ترجو الفواضل عند غير المفضل

واستغن ما أغناك ربك بالغنى

وإذا تصبك خصاصـــة فتحمل

واستأن حلمك في أمورك كلها

وإذا عزمت على الهوى فتوكل

وإذا كانت الضغائن تقطع أسباب المحبة وتورث الأحزان ، وتفتك بالإنسان .. فإن الحكمة التنزه عنها ، وعدم الانصياع لوسوسات النفس حيالها .. وكذلك الحال بالنسبة للنمام ، فإنه يثير الفتن ويمزق حبال المودة ، ويقدم للناس معسول الكلام ؛

---

(١) السابق : ص٧٥٢ .

هادفا إلى تمزيق الصلات بين ذوي الأرحام ·· بل وبين كل الأنام ؛ ولهذا كانت دعوة عبدة ابن الطبيب [١]

ودعوا الضغينة ، لا تكن من شأنكم
إن الضغائـــن للقرابة توضع
واعصوا الذي يزجي النمائم بينكم
متنصحا ؛ ذاك السمام المنقع

ويوصي بتقوى الإله في قوله :

أوصيكـــم بتقـــى الإله فإنه
يعطي الرغائب من يشاء ويمنع
وببر والدكم ، وطاعة أمره
إن الأبـر مـــن البنيـن الأطوع

وفي جانب كبير من شعرهم برز الحديث عن القدر وغيبياته وما يتصل به وأنه أمر مقدر على كل إنسان ، فلا مفر منه ، وما على العاقل إلا أن يسلم به ، ويذعن لأمره

فهذا قول عنترة [٢] :

---

(١) السابق صـ٢٩٧ ·

(٢) ديوانه : صـ ٦٩ ·

إذا كان أمر الله أمراً يقدر

فكيف يفر المرء منه ويحذر

ويدخل في عداد القدر ما قدر للإنسان من رزق في هذه الدنيا ، وليس له منه إلا ما قدر له ٠

نجد ذلك في قول عبدة بن الطبيب (١)

رب حبانـــا بأمـــوال مخولة

وكـــل شيء حبانا الله تخويل

والمرء ساع لأمر ليس يدركه

والعيش شح وإشفاق وتأميل

وكل إنسان في الحياة لا يعلم شيئا عما غيب عليه فيما يستقبل من أيامه ٠٠ لأن اختصاص العلم بذلك موكول إلى الله تعالى ٠

نجد ذلك في قول زهير بن أبي سلمى (٢)

ومهما تكن عند امرئ من خليقة

وإن خالها تخفى على الناس تعلم

---

١) المفضليات : صـ٢٨٦ ٠

٢) ديوان زهير بن أبي سلمى :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله

ولكنني عن علم ما في غد عم

وكذلك في قول طرفة [١]

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالأنباء من لم تزود

---

(١) ديوان طرفة بن العبد :

الموت في التصوير الجاهلي

الإيمان بالموت لا يحتاج إلى دليل عقلي ولا نقلي يؤكد للإنسان وقوعه ، لأنه وقع ويقع كل يوم لجميع أصناف البشر ، وغير البشر من مخلوقات تملأ ساحة الكون .

ولهذا كان صدور الشاعر الجاهلي عنه أمرا مقررا بحكم الواقع والمشاهدة فقد كان للموت رهبة في صدورهم وفي حياتهم ، يستوي في ذلك العقلاء منهم من أرباب التوجه السديد والرأي الرشيد ، أو اللاهين في الحياة بضلالهم وطيش مسعاهم .. فالجميع في تصوره للموت سواء . فقد تحدثوا عن الموت وسكراته ، وأنه كأس لابد مشروب ، ومهما طال غيابه لابد يوما سيئوب . لكن علم ذلك من اختصاص علام الغيوب .

ومن خلال نصوصهم في هذا المجال .. وجدنا الطابع الوعظي المعتمد على الإرشاد ، والحض على السلوك الطيب ، والبعد عن الغرور ؛ استعدادا ليوم تنقطع فيه الحياة بموت محقق لا فرار منه ولا مهرب .

ومن ذلك قول متمم بن نويرة [١]

فلا تفرحن يوما بنفسك إنني

أرى الموت وقاعا على من تشجعا

---

(١) المفضليات : صـ٥٤٣

أما الحصين بن الحمام فقد أعلن أنه لن يبيع حياته بثمن بخس مفرط فيها ٠٠ وإنما سيسعى ما وسعه الجهد كي يدخر من حسناته لحسابه في مماته ، لأنه سيموت ، ولن يستطيع الهرب من الموت الذي لابد واقع حتى لو صعد إلى السماء بسلم ، يقول [١]

ولست بمبتاع الحياة بسبة

ولا مبتغ من رهبة الموت سلما

ويدعو زهير بن أبي سلمى إلى التزود بالحسنات قبل أن يحين آخر يوم في الحياة :

تزود إلى يوم الممات فإنه

ولو كرهته النفس آخر موعد

أما المثقب العبدي فيعلن أن حوادث الأيام تنقص من عمر الإنسان وهو في غفلة من أمره ، يسعى مجهدا نفسه في جمع مال أو متاع ، في حالة من الاستهتار لا يقر معها على قرار ٠٠ مع أنه لن يأكل كل ما جمع ٠٠ غد إنه لا محالة ميت وموسد في التراب ٠٠ حيث لا قدرة ولا حراك ، يقول [٢]

---

(١) السابق : صـ ١٠٢ ٠

(٢) المفضليات : صـ ٣٠٢ ٠

إن الحــوادث يختر من وإنما

عمر الفتى في أهله مستودع

يسعى ويجمع جاهدا مستهترا

جــدا وليس بآكل ما يجمع

حتى إذا وافى الحمام لوقته

ولكل جنب لا محالة مصرع

نبذوا إليه بالسلام فلم يجب

أحد وصم عن الدعاء الأسمع

ولا نعجب كثيرا إذا وجدنا امرء .. إذ بعد الشباب والمتاع ، سوف يسلبه التراب شبابه ومجونه .. ونفسه .

استمع إليه يقول :

إلى عرق الثرى وشجت عروقي

وهذا الموت يسلبني شبابي

ونفسي سوف يسلبها وجرمــي

فيلحقنــي وشيكـــا بالتراب

وجاء عبيد بن الأبرص فلخص فكرة الموت ، ودعا إلى التزود له ، معلنا غاية الإنسان وسعية في دنياه ، ستنتهي – حتما – إلى قصر هو القبر ، الذي سوف يدخلة

على غير موعد . فالموت نهاية كل حي ، إذا لم يقتحم علينا حياتنا اليوم .. فلا شك أنه سيفزعنا غدا . ولهذا راح يعلن :

تـزود مـن الدنيـا متاعا فإنه
على كل حال خير زاد المزود
وللمـرء أيـام تعد وقد رعت
حبال المنايا للفتى كل مرصد
منيتـه تجري لوقت وقصره
ملاقاتها يوما على غير موعد
فمن لم يمت في اليوم لابد أنه
سيعلقـه حبـل المنية في غد

وحدث تاريخ النبي ﷺ أن يزيد بن عمرو بن مسلم الخزاعي دخل على النبي ﷺ فأنشدة قول سويد بن عامر المصطلقي الجاهلي :

لا تأمنـن وإن أمسيـت في حرم
إن المنايـا بجنبـي كـل إنسان
فاسلك طريقك تمشي غير مختشع
حتى تلاقي الذي مني لك الماني
فكـل ذي صاحـب يوما مفارقة
وكـل زاد وإن أبقيتـه فـان
والخير والشر مقرونان في قرن
بكـل ذلك يأتيـك الجديـدان

فقال النبي ﷺ : " لو أدرك هذا الإسلام لأسلم " لأنه يقرر حقائق حياتية جاء الدين بتأكيدها ·

وهكذا وجدنا الشعر الجاهلي يعبر عن كل جنبات الحياة وتياراتها ، مما يؤكد تمثيله للحياة العربية أصدق تمثيل ·· وإن رفض ذلك الرافضون ، وقعد عن الشعور بذلك القاعدون ، فالواقع العربي الذي ترجمه الشعر وعبر عنه لم يدع مجالا للشك والارتياب في احتواء هذا الشعر لكل معالم الحياة الجاهلية ···

مهم

يوم القيامة

فى التراث الشعرى

بين الجاهلية والإسلام

لم يكن من المتوقع أن يتحدث الشعر العربى قبل الإسلام عن اليوم الآخر، وما سيجرى فيه.. لأنهم كانوا فى جاهليتهم وثنيون، يعبدون الأصنام. وإذا كانت الديانات الكتابية- قبل الإسلام- قد عرفت على درجة ما فى جزيرة العرب فإن كتب تلك الديانات- لا شك- قد تحدثت عن القيامة، والجنة والنار، والحساب والجزاء إلا أن تأثير تلك الديانات وكتبها كان محدودا للغاية.. بل. لا نبالغ إذا قلنا إن ذلك التأثير لم يتعد حدود المؤمنين بها فى صوامعهم وأديرتهم، ولم يخرج عن ذلك النطاق إلا قليلا وبدرجة لا تسمح بالإنتشار.

فعلى الرغم من وجود بعض اليهود والنصارى فى الجزيرة العربية فإن عقيدة العالم الآخر لم تستطع أن تنتشر فى عرب الجزيرة.. فظلت فكرة البعث فكرة غريبة تقابل بأشد استنكار حينما جاء محمد- صلى الله عليه وسلم- بالقرآن" فلما ظهر الحنفاء فى جزيرة العرب ورأوا ضلال القوم، وسفه عقائدهم، انطلقوا يلتمسون سبل الهدى فيما بقى فى أيدى أهل الكتاب من مدونات التوراة والإنجيل فوجدوا ضمن ما وجدوا فيها كلاما عن الآخرة وما فيها من بعث وحشر وحساب وجزاء وجنة ونار.. فصدروا عن شئ من ذلك فى أقوالهم وأشعارهم.. ولعل ذلك قد برز بصورة واضحة فى شعر واحد منهم كان أكثرهم إلحاحا فى البحث عن الحق، والتماس سبل الهدى، بل وتأميل أنه يكون هو النبى الذى ذاع ذكره فى الكتب المقدسة، واشتهر أمره بين الأحبار والرهبان والكهنة وحراس المعابد..

وقد شاع بينهم أن زمن ظهوره قد اقترب.. كان أمية بن أبى الصلت هو المؤمل فى مجد النبوة[1].. وكان أيضا "من أبرز المتحدثين بالشعر عما يدين به ويأمل فيه. فجاء شعزه حافلا بذكر اليوم الآخر وما سيدور فيه من أحداث وأهوال.

ونحن وإن كنا لا نعزل الأثر الكتابى عن التأثير فى أمية بن أبى الصلت إلا أننا لا نقول بأنه وحده الموجه للشاعر فى حديثه عن الآخرة إذ أن معاصرته لبدء الدعوة، ونزول القرآن الكريم، وبقائه فى مواجهة الدين زمنا دون أن يسلم[2] تقطع بأن القرآن الكريم كان صاحب التأثير الأعلى والأكبر فى توجيه الشاعر إلى ما توجه إليه من حديث القيامة ومشاهدها وأحداثها.. والقارئ لشعره فى هذا المجال يرى الأثر القرآنى واضحا فى أشعاره كل الوضوح كما سنرى.

ومما يؤكد القول بأن العرب فى غالبيتهم لم يكن عندهم ذكر للآخرة فى أشعارهم.. أن الإنذار باليوم الآخر وناره وسلاسله ونكاله قد كثر بصورة ملحوظة فى سور القرآن المكى حتى لا تكاد تخلو سورة من سوره منه مما يدل على أنه كان " من أهم المواضيع التى ثار حولها الجدل واللجاج والتشاد بين النبى- صلى الله عليه وسلم- والعرب.. ولقد حكى القرآن كثيرا من مواقف العرب منه، وأقوالهم فيه بأساليب متنوعة

---

(١) انظر: أشعار الستة الجاهلين. للأعلام الشنتمرى ص ١٩٣ وما بعدها.

(٢) قيل: توفى فى العام السابع وقيل: فى الثامن. وقيل فى التاسع من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم. ومعنى ذلك أنه عاش سنوات الدعوة.

انظر: أشعار الستة الجاهليين. للأعلم الشنتمرى ص١٩٤ وتاريخ الأدب للدكتور عمر فروخ ص٢١٧.

تدل على أن موقفهم منه كان موقف المستنكر حينا، والمدهوش حينا، والمكذب حينا، والمستهزئ حينا، والمتحدى حينا.[١] فلم يكن من المنتظر منهم وهذا شأنهم فى رفض الدين أن يصدروا فى شعرهم عن شئ منه غالباً. وهذا بالطبع لا يمنع صدور بعضهم عن شعر يتصل بالآخرة كما هو الشأن عند الحنفاء الذين حاولوا التماس الحقيقة فأرهقوا أنفسهم فى البحث عنها فى سياحتهم التأملية.. وفيما بقى من مدونات الكتب المقدسة فى أيدى علماء أهل الكتاب.. وقد اعتبرنا أمية بن أبى الصلت علامة عليهم..

فقد "ذكر فى شعره إبراهيم وإسماعيل والحنفية ووصف الجنة والنار وحرم الخمر وشك فى الأوثان" [٢] وكان فى ذلك متأثرا بما اطلع عليه فى كل من التوراة والإنجيل.[٣] فقد تعرض فى شعره لمشكلة المصير الإنسانى والحياة الآخرة نجد ذلك فى قوله:

هما طريقان فائز دخل الجنة حفت به حدائقها
وفرقة فى الجحيم مع فرق الشيطان يشقى بها مرافقها
وصدها للشقاء عن طلب الجنة دنيا والله ما حقها
عبد دعا نفسه فعاتبها يعلم أن البصير رامعها[٤]

---

(١) سيرة الرسول: للأستاذ/ محمد عزة دروزة ض١، ص١٨٩ وما بعدها.

(٢) انظر: الأغانى جـ٤، ص١٢٢.

(٣) انظر: أشعر الستة الجاهليين جـ٢، ص٢١٦ وتاريخ الأدب العربى د/ عمر فروخ جـ١، ص٢١٧.

(٤) عيون الخبار لابن قتيبة. جـ٢، ص٣٧٤ وما بعدها.

فالجنة قد حفت بالحدائق، وهى مرتع الفائزين السعداء.. أما الجحيم فهى مأوى الفجار الأشرار فى صحبة الشيطان اللعين. والجزاء فى الحالتين جاء مترتبا على اختيار الإنسان، فساكن الجنة قد حاسب نفسه، وألزمها السير فى الطريق المستقيم موقنا بأن الله مطلع عليه، ومحاسبه على كل ما يفعل.. أما ساكن الجحيم فقد آثر الدنيا على الآخرة.. فكان جزاؤه الشقاء والعذاب، وسوء العقاب.

يعرض الشاعر ذلك فى أسلوب تقريرى لا شئ فيه من صنعه الفن.. وكأنه فيما صدر عنه ليس إلا مترجما لما قرأ فى مدونات الكتب المقدسة، دون أن يضيف إلى ما يقوله لمسه فنية تضفى على النص جوا من الشاعرية. وقد نجد فى بعض أشعاره شيئا مما يرضى حاجة الفن من تلك اللمسات الفنية التى تحقق الإثارة، وتجذب العواطف، وتأثر القلوب، وذلك عندما يعبر عن أفكاره بالصورة مستخدما من الألفاظ ما يتلاقى مع المعانى فى انسجام ووئام. نجد ذلك فى حديثه عن مشهد اعرض للحساب والجزاء حيث يقول:

وسيق المجرمون وهم عراة ... إلى ذات المقامع والنكال

فنادوا : ويلنا ويلاً طويلاً ... وعجوا فى سلاسلها الطوال

فليسوا ميتين فيستريحوا ... وكلهم بحر النار صال

وحل المتقون بدار صدق ... وعيش ناعم تحت الظلال

لهم ما يشتهون وما تمنوا ... من الأفراح فيها والكمال[1]

---

(١) شرح ديوان أمية بن أبى الصلت. تقديم وتعليق سيف الدين الكاتب، وأحمد عصام صـ٦٢.

فقد صدر الشاعر عن صورة حية لمشهد المجرمين وهم عراة تسوقهم ملائكة العذاب إلى الجحيم، حيث أعد الله لهم من وسائل التعذيب ما جعلهم يضجون بالصراخ والعويل، فى حسرة وزفرة، فالعذاب لا ينتهى، لأن ما اعتراهم من الغم وما انتابهم من الويل قائم ودائم.. فهم ليسوا بميتين أبداً ولكنه الخلود فى النار.. ولا أمل فى النجاة منها. أما المتقون فقد حلوا بدار صدق حيث العيش الناعم، والظلال الوارفة، والإقامة الهنيئة، وفوق ذلك كل شئ طوع أمرهم، ورهن إشارتهم.. فمهما طلبوا من كل ما يبهج العين، ويريح الفؤاد، ويمتع الأذن، وجدوا.

يورد الشاعر ذلك فى أسلوب بديع يتكافأ بعض الشئ فى شدته ورقته مع مقاوم العذاب، ومقام النعيم. فعند الحديث عن النار وسكانها يلهب الظهور، ويدمى القلوب ويحرك الصخر، ويلفت الانتباه.. والكلمة فى يديه مطواعة. فالألفاظ وضعت فى مقامها ومكانها من الصورة والتعبير إذ تجد ألفاظ {المجرمون- مقامع- نكال- ويل- سلاسل- حر- النار- صال} وفيها من علو النبرة، وشدة الوقع، ما يحقق التوازن بين الشكل والمضمون، وكذلك فعل عند ذكره للجنة، فقد جاءت ألفاظه ناعمة كحريرها، رقيقة كنعيمها فوجدنا ألفاظ {الأفراح- الكمال- ناعم- ظلال- صدق} مع وقع راقص فيه خفة الطرب، وكلمات هامسة تتناسب مع بهجة الترف، ونعومة العيش، وعز السعادة.

ويبدوا أن أحوال الناس فى يوم القيامة، وما أعد لهم من النعيم أو العذاب قد شغل وجدان الشاعر وأثر فى تفكيره فغرض وجوده على ساحة شعره فكثيرا ما ردد

المعانى السابقة فى نظمه مضيفاً إليها فى بعض الأحيان جوانب أخرى من مستور يوم القيامة. كقوله:[1]

ويوم موعدهم أن يحشروا زمراً
يــوم التغابــن إذ لا ينفع الحذر
مستـوثقين مـع الداعى كأنهم
رجـل الجراد زفته الريح تنتشر
وأبـــرزوا بصعيــد مستوجرز
وأنــزل العرش والميزان والزبر
وحوسبوا بالذى لم يحصه أحد
منهم وفى مثل ذاك اليوم معتبر
فمنهــم فــرح راض بعيشتــه
وآخرون عصوا مأواهم السقر
يقــول خــزانهم: ما كان عندكم
ألــم يكـن جاءكم من ربكم نذر
قالـوا: بلى فأطعنا سادة بطروا
وغُرنا طول هذا العيش والعمر
قال:امكثوا فى عذابه الله ما لكم
إلا السلاسل والأغلال والسعر

(١) شرح ديوان أمية بن أبى الصلت. تقديم وتعليق سيف الدين الكاتب، وأحمد عصام الكاتب ص٣٩-٤٠.

فالشاعر فى هذا العرض الجيد لبعض أحداث القيامة يصدر عن وعى أصيل بما ورد عنها فيما انتهى إلى معارفه- كما قلنا- من كتب الديانات السابقة.. ويبدوا أنه توقف كثيرا أمام نصوص القرآن الكريم التى تناولت مواقف الحشر والحساب والجزاء، وتأثر بها فترجما شعرا، ولا يدفع هذا التأثر عنده عدم دخوله فى الدين.. لأن الكافرين مع مجابهتهم للإسلام، ومحاربه نبيه- عليه السلام- كانوا على وعى بما يتنزل من القرآن الكريم إذ كانت آياته تتردد على ألسنة العرب فى مكة والطائف وفى غيرهما من قرى الجزيرة.. وفى نصوص القرآن ما يؤكد معرفتهم به، ووقوفهم أمام فصاحته وإعجازه صاغرين، وما تلك النعوت التى نعتوه بها إلا دليل صدق على قرب صلتهم المعرية بالقرآن وآياته[1] وإذا كان ذلك قد حدث من غير الكتابين عبدة الأصنام.. فإن الذى لا شك فيه أن المشتغلين بالدين من علماء الكتب المقدسة كانوا أكثر منهم اتصالا به وفهما لنصوصه.. وفى آيات القرآن الكريم ما يؤكد ذلك ويدعمه.. كذلك المحاورات الجدلية التى قامت بين الكتابين والمسلمين.. وكذلك التساؤلات التى كثيرا ما وفدوا بها على النبى صلى الله عليه وسلم.[2] فإذا كان لعبدة الأصنام وللعلماء من حملة الكتب المقدسة صلة معرفية بالقرآن الكريم على درجة ما.. فإن أمية بن أبى الصلت كان أكثر منهم جميعا حرصا على متابعة الدين ومعرفة كتابية لأنه كان من المؤملين فى نيل منصب النبوة.. ولهذا نؤكد أن أثر القرآن الكريم فى شعره كان

---

(١) نجد ذلك فيما ورد مسجلا فى سورة ص، والمدثر، والقلم، والحاقة، والإنشقاق. وغيرها مما يشير إلى موقفهم، ووصفهم له، ورفضهم لما جاء فيه.

(٢) نجد ذلك مثبوتا فى سورة البقرة، والنساء، وآل عمران، والمائدة، وغيرها من السورة المدنية.

واضحا وجليا.. والمتابع لشعره فى القيامة وأحوالها يرى ذلك بوضوح لإخفاء فيه.. إذ يعد شعره فى ذلك ترجمة شعرية لمعانى الآيات، ومحاكاة لألفاظها إن صح هذا التعبير.. فمن النصين السابقين رأينا المعانى والألفاظ تكاد تكون كلها مستمدة من الآيات الآتية:

﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا﴾ (١) و﴿لهم مقامع من حديد﴾ (٢) و﴿ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه﴾ (٣) و﴿ثم لا يموت فيها ولا يحى﴾ (٤) و﴿فى مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ (٥) و﴿لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾ (٦) و﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ (٧) و﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن﴾ (٨) و﴿يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع﴾ (٩) و﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا﴾ (١٠) و﴿أحصاه الله ونسوه﴾ (١١) و﴿سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير﴾ (١٢) ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾ (١٣) إلى غير ذلك مما يؤكد صلة الشاعر بالقرآن الكريم وتأثره به فيما صدر عنه من أشعار فى الآخرة وأحوال الناس فيها.

---

(١) الزمر [٧١].
(٢) الحج [٢١].
(٣) الحاقة [٣٢].
(٤) الأعلى [٣١].
(٥) القمر [٣٢].
(٦) ق [٣٥].
(٧) النبياء [١٠٣].
(٨) التغابن [٩].
(٩) القمر [٧-٨].
(١٠) الكف [٨].
(١١) المجادلة [٦].
(١٢) الملك [٨-٩].
(١٣) الأحزاب [٦٧].

وإذا كان أثر القرآن الكريم قد بدا واضحا فى شعر واحد عادى النبى وعاش عمره حاقدا عليه... فمما لا شك فيه أن المسلمين فى عصر النبى وبعده قد تناولوا فى أشعارهم يوم القيامة ضمن ما صدروا عنه خصوصا وأن "القرآن قد نقلهم إلى آفاق العالم الآخر كما لم تجل قط فى تاريخ الإنسانية، وكما لم يتصور ها خيال بشرى" فجاءت أشعارهم فى معظم أحوالها ترجمة لإيمان يقينى بالدين، وبكل ما جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين... ومنه بالضرورة ما يتصل بالأمور الغيبية التى أمر الله المؤمنين بالإيمان بها..

فالمؤمنون المتقون هم كما جاء نعتهم فى القرآن ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [٢] فلم يكن من المستغرب إذن أن يأتى ذكر القيامة ومواقفها من بعث وحشر وحساب وجزاء وجنة ونار على ألسنة شعراء المؤمنين فقد كان الحديث عن ذلك واحدا من ملامح التأثر بالقرآن الكريم وحديث خير المرسلين لا على أساس المحاكاة كما فعل أمية بن أبى الصلت.. بل من منطلق الإيمان به لأن ذلك من صميم العقيدة التى يجب أن يدين المسلم بها.. ولهذا وجدنا الشعر "فى صدر الإسلام قد بدا فى روحه ومعانيه مملوءا بالتقوى والورع وذكر البعث والجنة والنار" [٣] ومن هنا رأينا حشدا هائلا من شعراء الدعوة فى صدر الإسلام وبعده يذكرون أمور الآخرة ضمن ما يذكرون من معانى وأفكار غير أن ذل لم يرد على وتيرة واحدة وإنما اتخذ طرائق متعددة فى الإيراد وفى التعبير والتصوير.

---

(٢) سورة البقرة آية رقم [٣].

(٣) فى الأدب الإسلامى والأموى د/ سليمان ربيع ص٩٨.

فهذا على بن أبى طالب لا يعنيه أمر الدنيا فى قليل أو كثير. فهو فى كل توجهاته يبتغى رضوان الله ونيل ثوابه، وسكنى الجنة حيث المقام العظيم، والنعيم المقيم، يقول لفاطمة سيدة نساء أهل الجنة:

أفاطـم هـاك السيـف غير ذميم
فلسـت برعديـد ولا بلئيم
لعمرك لقد جاهدت فى نصر أحمد
ومـرضاة رب بالعبـاد عليم
أريـد ثـواب الله لا شـئ غيره
ورضوانه فى جنة ونعيم[1]

وقد تردد هذا المعنى كثيرا فى أشعار المجاهدين من شعراء الدعوة عندما التهبت المعارك بين الحق والباطل فى بدر وأحد وغيرهما من مواقف المجابهة بين المسلمين وأعدائهم من الكفار واليهود.

فقد سجلت الحركة الشعرية جانبا كبيرا مما حدث فى تلك المعارك، وتوقفت كثيرا عند بطولات شهداء المسلمين الذين بذلوا أرواحهم فى سبيل الله رجاء نيل رضاه، وأنهم لهذا البذل أهل لنيل الثواب العظيم فى الآخرة حيث النعيم المقيم فى رحاب رب العالمين.

---

(١) شعر الفقهاء. للدكتور/ حسنى ناعسة ص٢١٦.

أما أولئك الفجار من أعداء الدين فمصيرهم إلى النار حيث الجحيم والسعير، وغضب الرحمن الرحيم، .. إلى غير ذلك من المعاني التي صدروا عنها، فجاء على متنها ذكر القيامة وبعض أحوالها وأمورها، فهذا كعب بن مالك، يعرض بالذكر لما حدث للكفار في بدر، وما كان من بسالة المؤمنين في مواجهة أعداء الدين حتى هلكوا فجاءوابالخسران المبين في الدنيا.. أما في الآخرة فما لهم إلى الجحيم يقول: [١]

فكب أبو جهل صريعاً لوجهه

وعتبة قد غادرنه وهو عاثر

وشيبة والتيمي غادرن في الوغى

وما منهم إلا بذي العرش كافر

فأمسوا وقود النر في مستقرها

وكل كفور في جهنم صائر

تلظى عليهم وهي قد شب حميها

يزيد الحدي والحجارة ساجر

وهذا حسان بن ثابت شاعر الرسول يقول في رثاء حمزة عم النبي - صلى الله عليه وسلم - وشهيد أحد بعد عرض جيد لحركة الصراع والجهاد، وذكر بعض مآثر الشهيد في الجود والكرم والتضحية والفداء: [٢]

---

[١] انظر: السيرة النبوية لابن هشام جـ٢، ص٢٦٤ وملا بعدها.

[٢] السابق جـ٣، ص٧٤ وانظر الحياة الأدبية في عصر الجاهلية وصدر الإسلام د/ محمد خفاجي ص٣٣٤ وتاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام د/ محمد حسن درويش ص٢٣٩.

فـإن جنـان الخلـد منزلة له
ولمر الذى يقضى الأمور سريع
وقتلاكم فى النار أفضل رزقهم
حميـم معا فى جوفها وضريع

وفـى بعض الأحيان يأتى ذكر يوم القيامة على سبيل التخويف طلبا لإستلام المدعو إلى الدين رجاء نجاته إذا هو دخل فـى الدين، وتابع منهج سيد المرسلين. كما جاء فـى الرسالة العاجلة التى بعث بها بجير بن زهير إلى أخيه كعب حثاله على ضرورة على التخلى عن غروره، والبعد عن الغواية والضلال، ولأنحياز إلـى نـور الله. يقـول بجير: [١]

إلى الله- لا العزى ولا اللات ـ وحده
فتنجـوا إذا كان النجاء وتسلم
لدى يـوم لا ينجـو وليـس بمفلـت
من الناس إلا طَاهر اللب مسلم

وفـى منعطف آخر رأينا النعمان بن بشير الأنصـارى يعتلى منبر الوعظ ناصـحا ومرشدا ومحذرا ومخوفا الناس مـن يـوم عبوس قمطرير لا طعـام فيه للغـواة إلا الضريع، ولا شراب إلا مياه الحميم والصديد.. ولا نجاة لأحد من الناس إلا بالتقوى، فهى طوق النجاة، وعز الحياة ، وأساس السعادة، ولن ينتفع عبد بعد الإيمان إلا بالعمل الصالح والقول السديد يقول الصحابى الجليل:[٢]

---

(١) السيرة لنبوية لابن هشام جـ٤، ص١٠٨.
(٢) شعر الفقهاء ص٢٤٠.

فاتقوا الله واحذروا شر يوم قمطرير عذابــه مشهــود

فطعــام الغــواة فيها ضريع وشراب من الحمــيم صديد

كلما أخرج للعيــون منهــا ساعة من عذاب غم أعيدوا

رحمة الله يوم ذاك تنجــي من نجا من عذابه والجدود

خير ذخر مع اليقيــن لعبــد عمــل صالــح وقول سديد

وحرصا من الشاعر على إتمام الصورة وبلورة مواقف الشدة يقول:[1]

وترى الناس يحسبون من الكرب

سكارى.. بل العذاب شديد

وقــف النــاس للحســاب جميعــا

فشقى الناس معذب وسعيد

والنبيــون عنــده بمكـــان

في علاء والصالحون قعود

وأمام هول ذلك اليوم لا يملك الشاعر إلا أن يطن على مسامع الزمان:[2]

إنما هذى الحياة غرور

بعده الفصل بينكم والخلود

---

(١) السابق ص١١ وما بعدها.

(٢) السابق والصفحة.

يوم ندعى إلى الحساب ومعنا

يوم تأتيك سائق وشهيد

ومن خلال قرءاتنا لهذا الشعر نرى بوضوح أثر القرآن الكريم فيه فالشاعر يعتمد اعتماداً كاملاً عليه في ألفاظه ومعانيه وتستطيع أن تجد روح الآيات ومعانيها بل وبعض ألفاظها في صياغة الشاعر من ذلك مثلاً: قوله تعالى:

﴿يوماً عبوساً قمطرا﴾ (١) و﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾ (٢) و﴿لا يذوقون فيه برداً ولا شرابا﴾ (٣) و﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها﴾ (٤) و﴿جاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ (٥) و﴿ترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (٦) إلى غير ذلك من الآيات.

ويبدو أن الخوف من يوم القيامة وأهواله قد استقر في قلوب الصالحين من عباد الله فانطلقوا في حياتهم مترسمين طريق الجهاد.. جهاد النفس والهوى عاملين على إعلاء كلمة الحق والعدل رجاءاً يكون لهم بذلك وقاية من مصاعب القيامة. . . .

---

(١) الإنسان [١٠].

(٢) الغاشية [٦].

(٣) النبأ [٢٣].

(٤) الحج [٢٢].

(٥) ق [٢١].

(٦) الحج [٢].

قضية الانتحال:

وقد عرض لهذه القضية كثير من النقاد القدامي والمحدثين، ويقصد بالانتحال ذلك الشعر الدخيل الذي حمل علي أشعار القدماء فـــي عصور متأخرة ولفق إليهم، ويعد ابن سلام الجمحي من أوائل الــنقاد الذين عرضوا لهذه القضية، وعزاها إلي عاملين أساسيين، همـــا: الرواة، والعصبية القبلية، كما نقد ابن هشام صاحب السيرة كثـــيرا من الأشعار وبين الفاسد الموضوع منها، كما ذكر صاحب الأغانـــي الكثـــير مـــن الشـــعر المـــنحول علي الشعراء القدامي والمحدثين.

وفـــي العصـــر الحديـــث أصدر الدكتور: طه حسين كتابه المشـــهور "فـــي الشعر الجاهلي" وذهب فيه علي أن الكثرة المطلقة مما يسمي أدبا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء إنما هي منتحلة بعـــد ظهور الإسلام، فهي تمثل حياة المسلمين أكثر مما تمثل حياة الجاهلـــية. وما بقي من الأدب الجاهلي الصحيح قليل جدا، لا يمثل شـــيئا ولا يـــدل علي شيء، وقد أثار الكتاب ضجة أدبية وسياسية كبيرة كان لها أثرها الضخم في الحياة الأدبية والفكرية، ثم صودر

الكـــتاب، وطبع من جديد بعنوان "في الأدب الجاهلي" بعد أن حذف منه بعض الفقرات التي كانت هي السبب في مصادرته، لاسيما ما ذكــره الدكتور: طه حسين عن قصة إبراهيم وإسماعيل، حيث ذكر أنهــا قصة متكلفة ومصنوعة في عصور متأخرة دعت إليها حاجة دينــية أو اقتصادية أو سياسية، ورأي أن ورودها في الكتب الدينية لا يكفي لإثبات صحتها التاريخية.

وقد انبري كثير من العلماء للرد علي هذا الكتاب، وكان من بيــن الكتب التي ظهرت في ذلك: كتاب النقد التحليلي لكتاب الشعر الجاهلي للأستاذ: محمد أحمد الغمراوي، والشهاب الراصد للأستاذ: محمد لطفي جمعة، ونقض كتاب "في الشعر الجاهلي" للشيخ: محمد الخضـــر حسين، ومحاضرات في بيان الأخطاء التي اشتمل عليها كــتاب "فـــي الشعر الجاهلي" للشيخ: محمد الخضري، ونقد كتاب "الشـــعر الجاهلـــي" لمحمد فريد وجدي، ونقض مطاعن في القرآن الكــريم للشـــيخ: محمد عرفة، والشعر الجاهلي والرد عليه لمحمد حســين، ومع زعيم الأدب العربي في القرن العشرين للشيخ: عبد

المتعال الصعيدي، ونظرية الانتحال في الشعر الجاهلي للدكتور: عبد الحميد المسلوت

وقام شيخ الأزهر وغيره من علماء الأزهر الشريف ونواب البرلمان في ذلك الحين برفع تقارير حول الكتاب إلي النائب العمومي، وكان مما ورد في تلك التقارير وفي جلسات التحقيق:

"أرسل فضيلة شيخ الجامع الأزهر لسعادة النائب العمومي خطابا بتاريخ ٥ يونية يبلغ له به تقريرا رفعه علماء الجامع الأزهر عن كتاب ألفه طه حسين المدرس بالجامعة المصرية أسماه "في الشعر الجاهلي" كذب فيه القرآن صراحة وطعن فيه علي النبي صلي الله عليه وسلم وعلي نسبه الشريف وأهاج بذلك ثائرة المتدينين وأتي فيه بما يخل بالنظم العامة ويدعو الناس للفوضي وطلب اتخاذ الوسائل القانونية الفعالة الناجعة ضد هذا الطعن علي دين الدولة الرسمي وتقديمه للمحاكمة وقد أرفق بهذا البلاغ صورة من تقرير أصحاب الفضيلة العلماء الذي أشار إليه في كتابه وحيث أنه نظرا لتغيب الدكتور: طه حسين خارج القطر المصري قد أرجأنا التحقيق إلي ما بعد عودته فلما عاد بدأنا التحقيق بتاريخ ١٩ أكتوبر سنة

١٩٢٦ فأخذنا أقوال المبلغين جملة بالكيفية المذكورة بمحضر التحقيق ثم استجوبنا المؤلف وبعد ذلك أخذنا في دراسة الموضوع بقدر ما سمحت لنا الحالة وحيث قد اتضح من أقوال المبلغين أنهم ينسبون للمؤلف أنه طعن علي الدين الإسلامي في مواضع أربعة من كتابه:

الأول: أن المؤلف أهان الدين الإسلامي بتكذيب القرآن في إخباره عن إبراهيم وإسماعيل حيث ذكر في ص ٢٦ من كتابه "للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي فضلا عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلي مكة ونشأة العرب المستعربة فيها ونحن مضطرون إلي أن نري في هذه القصة نوعا من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخري إلي آخر ما جاء في هذا الصدد.

الثاني: ما تعرض له المؤلف في شأن القراءات السبع المجمع عليها والثابتة لدي المسلمين جميعا وأنه في كلامه عنها

يزعم عدم إنزالها من عند الله وأن هذه القراءات إنما قرأتها العرب حسب ما استطاعت لا كما أوصي الله بها إلي نبيه مع أن معاشر المسلمين يعتمدون أن كل هذه القراءات مروية عن الله تعالي علي لسان النبي صلي الله عليه وسلم.

الثالث: ينسبون للمؤلف أنه طعن في كتابه علي النبي صلي الله عليه وسلم طعنا فاحشا من حيث نسبه فقال في ص ٧٢ من كتابه، ونوع آخر من تأثير الدين في انتحال الشعر وإضافته إلي الجاهليين وهو ما يتصل بتعظيم شأن النبي من ناحية أسرته ونسبه في قريش فلأمر ما اقتنع الناس بأن النبي يجب أن يكون صفوة بني هاشم وأن يكون بنو هاشم صفوة بني عبد مناف وأن يكون بنو عبد مناف صفوة بني قصي وأن تكون قصي صفوة قريش وقريش صفوة مضر ومضر صفوة عدنان وعدنان صفوة العرب والعرب صفوة الإنسانية كلها " وقالوا إن تعدي المؤلف بالتعريض بنسب النبي صلي الله عليه وسلم والتحقير من قدره تعد علي الدين وجرم عظيم يسيء للمسلمين والإسلام فهو قد اجترأ علي أمر لم يسبقه إليه كافر ولا مشرك.

الـــرابع: أن الأستاذ المؤلف أنكر أن للإسلام أولية في بلاد العـــرب، وأنـــه دين إبراهيم إذ يقول في ص ٨٠ أما المسلمون فقد أرادوا أن يثبـــتوا أن للإســـلام أولية في بلاد العرب كانت قبل أن يبعـــث النبـــي وأن خلاصة الدين الإسلامي وصفوته هي خلاصة الديـــن الحق الذي أوحاه الله إلي الأنبياء من قبل – إلي أن قال في ص ٨٠ وشـــاعت فـــي العرب أثناء ظهور الإسلام وبعده فكرة أن الإســـلام يجدد دين إبراهيم ومن هنا أخذوا يعتقدون أن دين إبراهيم هذا قد كان دين العرب في عصر من العصور ثم أعرضت عنه لما أضلها به المضلون وانصرفت إلي عبادة الأوثان إلي آخر ما ذكره فـــي هذا الموضوع ومن حيث أن العبارات التي يقول المبلغون إن فـــيها طعـــنا علـــي الدين الإسلامي إنما جاءت في كتاب في سياق الكـــلام علي موضوعات كلها متعلقة بالغرض الذي ألف من أجله فلأجـــل الفصل في هذه الشكوي لا يجوز انتزاع تلك العبارات من موضـــعها والنظر إليها منفصلة وإنما الواجب توصلا إلي تقديرها تقديـــرا صـــحيحا بحـــثها مـــن حيث هي في موضعها من الكتاب

ومناقشتها في السياق الذي وردت في وبذلك يمكن الوقوف علي قصد المؤلف منها وتقدير مسئوليته تقديرا صحيحا .

عن الأمر الأول

من حيث أن أهم ما يلفت النظر ويستحق البحث في كتاب الشعر الجاهلي من حيث علاقته بموضوع هذه الشكوي إنما هو ما تناوله المؤلف بالبحث في الفصل الرابع تحت عنوان الشعر الجاهلي واللغة من ص ٢٤ إلي ص ٣٠ .

ومن حيث أن المؤلف بعد أن تكلم في الفصل الثالث من كتابه علي أن الشعر المقال بأنه جاهلي لايمثل الحياةالدينية والعقلية للعرب الجاهليين وأراد في الفصل الرابع أن يقدم أبلغ مالديه من الأدلة علي عدم التسليم بصحة الكثرة المطلقة من الشعر الجاهلي فقال إن هذا الشعربعيد كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنه قيل فيه.

وحيث أن المؤلف أراد أن يدلل علي صحة هذه النظرية فرأي بحق من الواجب عليه أن يبدأ بتعريف اللغة الجاهلية فقال وتجب في تعريف اللغة الجاهلية هذه ما هي أو ماذا كانت في

العصر الذي يزعم الرواة أن شعرهم الجاهلي هذا قد قيل فيه، وقد أخذ في بحث هذا الأمر فقال إن الرأي الذي اتفق عليه الرواة أو كادوا يتفقون عليه هو أن العرب ينقسمون إلي قسمين قحطانية منازلهم الأولي في اليمن، وعدنانية منازلهم الأولي في الحجاز، وهم متفقون علي أن القحطانية عرب منذ خلقهم الله فطروا علي العربية فهم العاربة وعلي أن العدنانية قد اكتسبوا العربية اكتسابا كانوا يتكلمون لغة أخري هي العبرانية أو الكلدانية ثم تعلموا لغة العرب العاربة فمحت لغتهم الأولي من صدورهم ونبتت فيها هذه اللغة الثانية المستعارة وهم متفقون علي أن هذه العدنانية المستعربة إنما يتصل نسبها بإسماعيل بن إبراهيم وهم يروون حديثا يتخذونه أساسا لكل هذه النظرية خلاصته أن أول من تكلم بالعربية ونسي لغة أبيه إسماعيل بن إبراهيم وبعد أن فرغ من تقرير ما اتفق عليه الرواة في هذه النقطة قال: إن الراواة يتفقون أيضا علي شيئ آخر وأن هناك خلافا قويا بين لغة حمير ولغة عدنان مستندا علي ما روي عن أبي عمرو بن العلاء من أنه كان يقول "ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا" وعلي أن البحث الحديث قد أثبت خلافا

جوهـريا بيـن اللغـة التي كان يصطنعها الناس في جنوب البلاد العربـية واللغة التي كانوا يصطنعونها في شمال هذه البلاد وأشار إلي وجود نقوش ونصوص تثبت هذا الخلاف في اللفظ وفي قواعد الـنحو والتصريف، بعد ذلك حاول المؤلف حل هذه المسألة بسؤال إنكـاري فقال إذا كان أبناء إسماعيل قد تعلموا العربية من العرب العاربـة فكـيف بعد ما بين اللغتين لغة العرب العربة ولغة العرب المسـتعربةثم قـال إنه واضح جدا لمن له إلمام بالبحث التاريخي عامة وبدرس الأقاصيص والأساطير خاصة أن هذه النظرية متكلفة مصطنعة في عصور متأخرة دعت إليها حاجة دينيةأو اقتصادية أو سياسية.

ثـم قال بعد ذلك: للتوارة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقـرآن أن يحدثـنا عـنهما أيضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لايكفي لإثبات وجودهما التاريخي فضلا عن إثبات هـذه القصة التي تحدث بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلي مكة ونشأة العرب المستعربة فيها – وظاهر من إيراد المؤلف هذه العبارة أنه أراد أن يعطـي دلـيله شـيئا من القوة بطريقة التشكيك في وجود

إبراهـيم وإسماعيل التاريخي وهو يرمي بهذا إلي القول أنه ما دام إسماعيل وهو الأصل في نظرية العرب العاربة والعرب المستعربة مشـكوكا في وجوده التاريخي فمن باب أولي ما ترتب علي وجوده ممـا يـرويه الرواة وأراد المؤلف أن يوهم بأن لرأيه أساسا فقال " ونحـن مضطرون إلي أن نري في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثـبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهودية والقـرآن والتوراة من جهة أخري ثم أخذ يبسط الأسباب التي يظن أنها تبرر هذه الحيلة.

وهنا يجب أن نلاحظ أن الدكتور مؤلف الكتاب قد خرج من بحثه هذا عاجزا كل العجز عن أن يصل إلي غرضه الذي عقد هذا الفصل من أجله وبيان ذلك أنه وضع في أول الفصل سؤالا وحاول الإجابة عليه وجواب هذا السؤال في الواقع هو الأساس الذي يجب أن يرتكز عليه في التدليل علي صحة رأيه وهو يريد أن يدلل علي أن الشـعر الجاهلـي بعيد كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنه قيل فيه وبديهي أنه للوصول إلي هذا الغرض يتعين علي الباحث تحضير ثلاثة أمور :

(١)الشعر الذي يريد أن يبرهن علي أنه منسوب بغير حق للجاهلية.
(٢)الوقت الذي يزعم الرواة أنه قيل فيه .
(٣)اللغة التي كانت موجودة فعلا في الوقت المذكور.

وبعد أن تتهيأ له هذه المواد يجري عملية المقارنة فيوضح الاختلافات الجوهرية بين لغة الشعر وبين لغة الزمن الذي روي أنه قيل فيه ويستخرج بهذه الطريقة الدليل علي صحة ما يدعيه – لهذا تتضح أهمية السؤال الذي وضعه بقوله "لنجتهد في تعريف اللغة الجاهلية هذه ما هي أو ما إذا كانت في العصر الذي يزعم الرواة أن شعرهم الجاهلي هذا قد قيل فيه" وتتضح أهمية الإجابة عليه.

ولكن الأستاذ المؤلف وضع السؤال وحاول الإجابة عليه وتطرق في بحثه إلي الكلام علي مسائل في غاية الخطورة صدم بها الأمة الإسلامية في أعز ما لديها من الشعور ولوث نفسه بما تناوله من البحث في هذا السبيل بغير فائدة ولم يوفق في الإجابة بل خرج من البحث بغير جواب اللهم إلا قوله: إن الصلة بين اللغة العدانية وبين اللغة القحطانية إنما هي كالصلة بين اللغة العربية

رأي لغـــة أخري من اللغات السامية المعروفة وبديهي أن ما وصل إليه ليس جوابا علي السؤال الذي وضعه وقد نوقش في التحقيق في هـذه المسألة فلم يستطع رد هذا الاعتراض ولم يمكن الاقتناع بما ذكــره في التحقق من أنه كتب الكتاب للإخصائيين من المستشرقين بــنوع خـــاص وأن تعريف هاتين اللغتين عند الإخصائيين واضح لايحــتاج إلي أن يذكر لأن قوله هذا عجز عن الجواب كما أن قوله إن اللغـــة الجاهلـــية فـــي رأيه ورأي القدماء والمستشرقين لغتان متباينـــتان لايمكـــن أن يكون جوابا علي السؤال الذي وضعه لأن غرضـــه مـــن السؤال واضح في كتابه إذ قال "ولنجتهد في تعريف اللغـــة الجاهلية هذه ما هي" وقد كان قرر قبل ذلك "فنحن إذا ذكرنا اللغة العربية نريد بها معناها الدقيق المحدود الذي نجده في المعاجم حيـــن نبحث فيها عن لفظ اللغة ما معناه نريد بها الألفاظ من حيث هـــي ألفاظ تدل علي معانيها تستعمل حقيقة مرة ومجازا مرة أخري وتـــتطور تطورا ملائما لمقتضيات الحياة التي يحياها أصحاب هذه اللغـــة فبعد أن حدد هو بنفسه معني اللغة الذي يريده فلا يمكن أن يقبل منه ما أجاب به من أن مراده أن اللغة لغتان بدون أن يتعرف

واحـــدة منها، فالمؤلف إذن في واحدة من اثنين إما أن يكون عاجزا وإما أن يكون سيئ النية قد جعل هذا البحث ستارا ليصل بواسطته إلي الكلام في تلك المسائل الخطيرة التي تكلم عنها في هذا الفصل وسنتكلم فيما بعد عن هذه النقطة عند الكلام عن القصد الجنائي.

أنه استدل علي عدم صحة النظرية التي رواها الرواة تقسيم العـــرب إلـــي عاربة ومستعربة وتعلم إسماعيل العربية من جرهم باعتراض وضعه في صيغة سؤال إنكاري. إذا كانوا أبناء إسماعيل قد تعلموا العربية من أولئك العرب الذين نسميهم العاربة فكيف بعد مابيـــن اللغـــة التي كان يصطنعها العرب العاربة واللغة التي كان يصـــطنعها العـــرب المستعربة يريد المؤلف بهذا أن يقول لو كانت نظـــرية تعلم إسماعيل وأولاده للعربية في جرهم صحيحة لوجب أن تكون لغة المتعلم كلغة المعلم وهذا الاعتراض وجيه في ذاته ولكنه لايفـــيد المؤلـــف فـــي التدليل علي صحة رأيه لأنه نسي أمرا هاما لايجـــوز غـــض النظر عنه وهو يشير إلي الاختلاف الذي بين لغة حمير ولغة عدنان وهو يقصد بلغة عدنان التي كانت موجودة وقت نـــزول القرآن لأنه يري من الاحتياط العلمي أن يقرر أن أقدم نص

عربي للغة العدنانية هو القرآن الكريم وهو يعلم أن حمير آخر دول العـرب القحطانـية وقد مضي من وقت وجود إسماعيل إلي وقت وجـود حمـير زمن طويل جدا أي أنه قد انقضي من الوقت الذي يـروي أن إسماعيل تعلم اللغة العربية من جرهم إلي الوقت الذي اخـتاره المؤلف للمقارنة بين اللغتين زمن يتعذر تحديده ولكنه علي كل حال زمن طويل جدا لايقل عن عشرين قرنا فهل يريد المؤلف مع هذا أن يتخذ الاختلافات التي بين اللغتين دليلا علي عدم صحة نظرية الرواة غير حاسب حسابا للتطور الواجب حصوله في اللغة بسـبب مضي هذا الزمن الطويل وما يستدعيه توالي العصور من تتابع الحوادث واختلاف الظروف أن الأستاذ قد أخطأ في استنتاجه بغـير شـك ونستطيع إذا أن نقول إن استنتاجه لايصلح دليلا علي فسـاد نظـرية الـرواة التي يريد أن يهدمها وأنه إذا ماثبت وجود اخـتلاف مهما كان مداه بين اللغتين فإن هذا لاينفي صحة الرواية التـي يـرويها الـرواة من حيث تعلم إسماعيل العربية من جرهم ولايضيرها أن الأستاذ المؤلف ينكرها بغير دليل لأن طريقة الإنكار

والتشـكك بغير دليل طريقة سهلة جدا في متناول كل إنسان عالما كان أو جاهلا .

علي أننا نلاحظ أيضا أن المؤلف لم يكن دقيقا في بحثه وهو ذلك الرجل الذي يتشدد كل التشدد في التمسك بطرق البحث الحديثة ذلـك أنه ارتكن علي إثبات الخلاف بين اللغتين علي أمرين الأول ماروي عن أبي عمرو بن العلاء من أنه كان يقول "ما لسان حمير بلسـاننا ولا لغتهم بلغتنا" والثاني قوله "ولدينا الآن نقوش ونصوص تمكنـنا مـن إثـبات هـذا الخـلاف في اللفظ وفي قواعد النحو والتصريف أيضا"

أمـا عـن الدلـيل الأول فإن ماروواه أبو عبد الله بن سلام الجمحـي مؤلـف طبقات الشعراء عن أبي عمرو بن العلاء نصه "مالسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولاعربيتهم بعربيتنا" وقد يكون لمؤلـف مـأرب من وراء تغيير هذا النص علي أن الذي نريد أن نلاحظـه هو أن ابن سلام ذكر قبيل هذه الرواية في الصفحة نفسها ما يأتـي . وأخبرني يونس عن أبي عمرو قال (العرب كلها ولد إسماعيل إلا حمـير وبقايا جرهم) راجع ص٨ من كتاب طبقات

الشــعراء طبع مطبعة السعادة، فواجب علي المؤلف إذن وقد اعتمد صــحة العــبارة الأولـــي أن يسلم أيضا بصحة العبارة الثانية لأن الـــراوي واحـــد والمروي عنه واحد وتكون نتيجة ذلك أنه فسر ما اعتمد عليه من أقوال أبي عمرو بن العلاء بغير ما أراده بل فسره بعكس ما أراده ويتعين إسقاط هذا الدليل.

وأمـــا عن الدليل الثاني فإن المؤلف لم يتكلم عنه بأكثر من قو له ولديــنا الآن نقوش ونصوص تمكننا من إثبات هذا الخلاف فأردنــا عند استجوابه أن نستوضحه ما أجمل فعجز وليس أدل من هــذا العجز من أن نذكر هنا مادار في التحقيق من المناقشة بشأن هذه المسألة:

س: هل يمكن لحضرتكم الآن تعريف اللغة الجاهلية الفصحي و لغــة حمـــير وبيان الفرق بين لغة حمير ولغة عدنان ومدي هذا الفرق وذكر بعض أمثلة تساعدنا علي فهم ذلك.

ج: قلــت أن اللغــة الجاهلــية فـــي رأيـــي ورأي القدماء والمستشـــرقين لغـــتان متباينتان علي الأقل أولاهما لغة حمير وهذه اللغة قد درست الآن ووضعت لها قواعد النحو والصرف والمعاجم

ولــم يكن شيئ من هذا معروفا قبل الاستكشافات الحديثة وهي كما قلت مخالفة للغة العربية الفصحي التي سألتكم عنها مخالفة جوهرية فــي اللفظ والنحو وقواعد الصرف وهي إلي اللغة الحبشية القديمة أقرب منها إلي اللغة العربية الفصحي وليس من شك في أن الصلة بينها وبين لغة القرآن والشعر كالصلة بين السريانية وبين هذه اللغة القرآنية فأما إيراد النصوص والأمثلة فيحتاج إلي ذاكرة لم يهبها الله لي ولابد من الرجوع إلي الكتب المدونة في هذه اللغة.

س:هــل يمكــن لحضــرتكم أن تبينوالنا إلي أي وقت كانت موجودة اللغة الحميرية ومبدأ وجودها إن أمكن؟

ج:مبدأ وجودها ليس من السهل تحديده ولكن لاشك في أنها كانت معروفة تكتب قبل القرن الأول للمسيح وظلت تتكلم إلي مابعد الإســلام ولكــن ظهور الإسلام وسيادة اللغة القرشية قد محي هذه اللغــة شــيئا فشيئا كما محي غيرها من اللغات المختلفة في البلاد العربية وغير العربية وأقر مكانها لغة القرآن.

س:هــل يمكــن لحضــرتكم أيضا أن تذكروا لنامبدأ اللغة العدنانية ولو بوجه التقريب؟

ج:ليس من السهل معرفة مبدأ اللغة العدنانية وكل ما يمكن أن يقال بطريقة علمية هو أن لدينا نقوشا قليلة جدا يرجع عهدها إلي القرن الرابع للميلاد وهذه النقوش قريبة من اللغة العدنانية ولكن المستشرقين يرون أنها لهجة نبطية وإذن فقد يكون من احتياط العلم أن نري أن أقدم نص عربي يمكن الاعتماد عليه من الوجهة العلمية إلي الآن إنما هو القرآن حتي نستكشف نقوشا أظهر وأكثر مما لدينا.

س:هل تعتقدون حضرتكم أن اللغة سواء كانت اللغة الحميرية أو اللغة العدنانية كانت باقية علي حالها من وقت نشأتها أو حصل فيها تغيير بسبب تمادي الزمن والاختلاط؟

ج:ما أظن أن لغة من اللغات تستطيع أن تبقي قرونا دون أن تتطور ويحصل فيها التغير الكثير ونحن مع هذا لانريد أن ننفي وجود اختلاف بين اللغتين ولانقصد أن نعيب علي المؤلف جهله بهذه الأمور فإنها في الحقيقة لازالت من المجاهل وما وصل إليه المستشرقون من الاستكشافات لاينير الطريق وإنما الذي نريد أن نسجله عليه هو أنه بني أحكامه علي أساس أنه لازال مجهولا إذ

أنـــه يقـــرر بجرأة في آخر الفصل الذي نتكلم بشأنه " والنتيجة لهذا البحـــث كلـــه تردنا إلي الموضوع الذي ابتدأنا به منذ حين وهو أن هذا الشعر الذي يسمونه الجاهلي لايمثل اللغة الجاهلية ولا يمكن أن يكـــون صـــحيحا ذلك لأننا نجد بين هؤلاء الشعراء الذين يضيفون إلـــيهم شيئا كثيرا من الشعر الجاهلي قوما ينتسبون إلي عرب اليمن إلـــي هـــذه القحطانية العاربة التي كانت تتكلم لغة غير لغة القرآن والتـــي كـــان يقول عنها أبو عمرو بن العلاء إن لغتنا مخالفة للغة العرب والتي أثبت البحث الحديث أنها لغة أخري غير اللغةالعربية – فمتـــي قـــال أبو عمرو بن العلاءأنها لغة مخالفة للغة العرب لقد أشـــرنا إلـــي التغيير الذي أحدثه المؤلف فيما روي عن أبي عمرو حيـــث حذف من روايته " ولا عربيتهم بعربيتنا" ووضع محلها "ولا لغتهم بلغتنا" وقلنا قد يكون للمؤلف مآرب وراء هذا التغيير فهذا هو مآربـــه إن الأســـتاذ حرف في الرواية عمدا ليصل إلي تقرير هذه النتـــيجة – ويقول المؤلف أيضا والتي أثبت البحث الحديث أن لها لغة أخري غير اللغة العربية، وقد أبنا فيما سلف أنه عجز في هذه المســـألة عن إثبات ما يدعيه – ومن الغريب أنه عندما بدأ البحث

اكتفـــي بـــأن قال ولدينا الآن نقوش ونصوص تمكننا من إثبات هذا الخـــلاف في اللفظ وفي قواعد النحو والتصريف أيضا ولكنه انتهي بـــأن قـــرر بـــأن البحث الحديث أثبت أن لها لغة أخري غير اللغة العربية.

قـــرر الأســـتاذ في التحقيق أنه لاشك في أن اللغة الحميرية ظلت تتكلم إلي ما بعد الإسلام فإن كانت هذه اللغة هي لغة أخري غـــير اللغـــة العربية كما يوهم أنه انتهي به بحثه فهل له أن يفهمنا كيف استطاع عرب اليمن فهم القرآن وحفظه وتلاوته؟

نحن نسلم بأنه لابد من وجود اختلافات بين لغة حمير وبين لغـــة عدنان بل ونقول إنه لابد من وجود شيئ من الاختلافات بين بعـــض القـــبائل وبيـــن البعض الآخر ممن يتكلمون لغة واحدة من اللغتيـــن المذكورتين ولكنها علي كل حال اختلافات لاتخرجها عن العربـــية وهـــذه الاختلافات هي التي قصدها أبو عمرو بن العلاء بقوله ما لسان حمير بلساننا" والمؤلف لايستطيع أن ينكر الاختلاط الذي لابد منه بين القبائل المختلفة خصوصا في أمة متنقلة بطبيعتها كالأمـــة العربية ولابد لها جميعا من لغة عامة تتفاهم بها هي اللغة

الأدبية وقد أشار هو بنفسه إليها في ص١٧ من كتابه حيث قال عن القـــرآن "ولكنه كان كتابا عربيا لغته هي اللغة العربية الأدبية التي كان يصطنعها الناس في عصره أي في العصر الجاهلي"وهذه اللغة الأدبـــية هي لغة الكتابة ولغة الشعر والمؤلف نفسه عندما تكلم في الفصـــل الخـــامس عشـــر عن الشعر الجاهلي واللهجات بحث في الصـــحف ٣٥ – ٣٦ – ٣٧ بحثا يؤيد هذا المعنى وإن كان يدعي بغير دليل أن الإسلام قد فرض علي العرب جميعا لغة عامة واحدة هي لغة قريش مع أنه سبق أن ذكر في صحيفة ١٧ أن لغة القرآن هـــي اللغة العربية الأدبية التي كان يصطنعها الناس في عصره أي في العصر الجاهلي فلم لا تكون لهذه اللغة الأدبية السيادة العامة من قبل نزول القرآن بزمن طويل وكيف يستطيع هو هذا التحديد وعلام يســـتند؟ يتضـــح مما تقدم أن عدم ظهور خلاف في اللغة لايدل في ذاتـــه حتما علي عدم صحة الشعر ونحن لانريد بما قدمنا أن نتولي الدفـــاع عـــن صحة الشعر الجاهلي إذ أن هذه المسألة ليست حديثة العهـــد ابـــتدعها المؤلـــف وإنما هي مسألة قديمة قررها أهل الفن والشعر كما قال ابن سلام صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر

صــناف العلم والصناعات وهو يحتاج في تمييزه إلي خبير كاللؤلؤ الياقوت ولايعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة مما يبصره ولكن لــذي نــريد أن نشــير إليه إنما هو الخطأ الذي اعتاد أن يرتكبه المؤلــف في أبحاثه حيث يبدأ بافتراض يتخيله ثم ينتهي بأن يرتب عليه قواعد كأنها حقائق ثابته كما فعل في أمر الاختلافات بين لغة حمــير وبين لغة عدنان ثم في مسألة إبراهيم وإسماعيل وهجرتهما إلــي مكــة وبناء الكعبة إذ بدأ فيها بإظهار الشك ثم انتهي باليقين بـــــدأ بقوله للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وهجرتهما إلــي مكــة وبناء الكعبة إذ بدأ فيها بإظهار الشك ثم انتهي باليقين بـــــدأ بقوله للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثــنا عنهما أيضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لايكفي لإثبات وجودهما التاريخي فضلا عن إثبات هذه القصة التي تحدثــنا بهجــرة إســماعيل بــن إبراهــيم إلي مكة ونشأة العرب المســتعربة فيها إلي هنا أظهر الشك لعدم قيام الدليل التاريخي في نظــره كما تتطلبه الطرق الحديثة، ثم انتهي بأن قرر في كثير من الصراحة: أمر هذه القصة إذا واضح فهي حديثة العهد ظهرت قبل

الإســـلام واستغلها الإسلام لسبب ديني إلخ فما هو الدليل الذي انتقل به من الشك إلي اليقين؟[١]

---

(١) انظر تكملة هذه الفقرة في نهاية كتاب : محاضرات في بيان الأخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي

خطبة هاشم بن عبد المطلب فى إكرام الحجيج:

قال هاشم:

يا معشر قريش: أنتم سادة العرب، أحسنها وجوها، وأعظمها أحلاما، وأوسطها أنسابا، وأقربها أرحاما، يا معشر قريش: أنتم جيران بيت الله، أكرمكم بولايته، وخصكم بجواره دون إسماعيل وحفظ منكم أحسن ما حفظ جار من جاره، فأكرموا ضيفه وزوار بيته، فإنهم يأتونكم شعثا غبرا من بلد فورب هذه البنية لو كان لى مال يحمل ذلك لكفيتموه، ألا وإنى مخرج من طيب مالى وحلاله ما لم تقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فواضعه، فمن شاء منكم أن يفعل منها ذلك فعل.

وأسألكم بحرمة هذا البيت ألا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله ومعونته إلا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم تقطع فيه رحم ولم يغتصب.

التعريف بالخطيب:

هو "عمرو بن عبد مناف والد عبد المطلب" جد الرسول صلى الله عليه وسلم، كانت له سقاية الحجاج وإطعامهم، وكان أول من سن رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام، وكان أحد الأجواد الذين ضرب بهم المثل في الكرم وحسن الضيافة، أنقذ قريشا من مجاعات كثيرة، وحماها من نوازل عديدة، كادت أن تهز كيانها، وتشتت شملها، وهو أول من هشم الثريد لقومه، ولذلك غلب عليه اسم "هشام" مات وهو في طريقه إلى الشام.

مناسبة الخطبة:

لما كانت سقاية الحجيج مسندة إلى "هشام بن عبد مناف" ، ولما كان العرب يحجون بيت الله الحرام كل عام كان على "هشام" ألا يدخر وسعا في توفير سبل الراحة والأمان لهم، وبالفعل كان "هشام" يبذل قصارى جهده ووقته ليؤمن البلاد، ويعبد السبل، ويكرم الحجيج، وكان من ذلك تكرار حثه لقريش على أن تعطي وتبذل وتكرم الحجيج، وهذه الخطبة أثر من آثار اهتمامه البالغ بالحجيج.

معاني المفردات:

١- الأحلام: العقول. ٢- أوسطها أنسابا: أفضلها أنسابا.

٣- أقربها أرحاما: أشدها قرابة.

٤- أكرمكم بولايته: شرّفكم بأن جعلكم قائمين على رعاية البيت.

٥- إسماعيل: هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

٦- أحسن ما حفظ جار من جاره: أكرمكم بأن أحلكم بلدا آمنا.

٧- الأشعث: الملبد الشعر من وعثاء السفر.

٨- البنية: وهى الكعبة.

٩- لكفيتموه: أى لو كان لى مال لحملت عنكم كل ما يقدم لحجاج بيت الله.

١٠- فواضعه: أى مخصصة لحجاج البيت.

١١- بحرمة هذا البيت: بحقه عليكم.

أفكار الخطبة:

تقوم خطبة هشام على ثلاث أفكار هى:

١- مدح قريش والثناء عليها.

٢- بيان تكريم الله لهم بأن جعلهم جيران بيته الحرام.

٣- حمل قريش على البذل والعطاء وإكرام الحجيج.

الدراسة والتعليق:

هذه خطبة من الخطب الكثيرة التى ورثناها عن أجدادنا الجاهليين، قالها هشام بن عبد مناف ليحث قومه على حسن استقبال الحجيج، وإكرامهم، والعناية بأمورهم، وقد حاول هشام أن تتضمن خطبته ما يكفل لها بأن تكون حقيقة بإقناع من وجهت إليهم، فالخطابة تقوم أولا وأخيرا على الإقناع، والخطيب مطالب قبل كل شئ بأن يقنع جمهور المخاطبين بما يقول.

وإذا ألقينا نظرة سريعة على الخطبة لاحظنا أنها تتضمن ثلاث أفكار، جعلها الخطيب محورا، أدار خطبته حوله، فكأنى به من خلال هذه الأفكار قد قسم خطبته إلى مقدمة، وموضوع، وخاتمة.

وإذا أمعنا النظر فى المقدمة رأينا أنها تتضمن الثناء على قريش وامتداحهم بالشرف والرفعة وطهارة النسب، وعراقة الأصل، وكرامة المنبت، وأرى أنه فعل ذلك ليستميل عقولهم وقلوبهم إليه، وليعطوه آذانهم ومشاعرهم، ومن ثم يكون قريبا منهم ملتحما بهم.

أما الموضوع فيتضمن لفت أنظارهم إلى قدوم الحجيج شعثا غبرا، قد نالت منهم الغربة، وأنهكهم السفر، وأرهقهم التنقل وطول الطريق، كما يتضمن الموضوع أيضا لفت أنظار قومه بأن الله قد كرمهم، ورفع منزلتهم بأن جعلهم جوار بيته الحرام.

أما الخاتمة فقد ضمنها الخطيب الغرض الذى من أجله أنشأ خطبته، وهو الحث على إكرام الحجيج، وحسن استقبالهم ووفادتهم، والعمل على راحتهم وأمنهم.

وقد حفلت الخطبة ببعض الألوان الفنية التى أضفت عليها الروعة والجمال، وأكسبتها البراعة والجلال، وقد تعددت الألوان الفنية فى الخطبة، فنقف فيها على الصور البيانية، والأساليب الإنشائية، وكذلك الأساليب الخبرية.

١- فمن الصور البيانية قوله: "يأتونكم شعثا غبرا" فهذه كناية، أوردها "هشام" فى صورة حسية أعطت المعنى وضوحا، ومنحته قوة وتأثير، وقد أوردها الخطيب ليثير فى نفوس قريش الرغبة فى إكرام الحجيج، وليحفزهم على البذل والعطاء، ومن الصور أيضا قوله: "أحسنها وجوها"، فهذه كناية عن

الشرف والرفعة، وقوله: "أوسطها نسبا" كناية عن عراقة الأصل، وكرم المنبت، وقوله: "بيت ال"له كناية عن الكعبة المشرفة.

٢- وقد نوع هشام أسلوبه بين الأسلوب الخبري والإنشائي، فمن الأساليب الإنشائية في خطبته قوله: "يا معشر قريش" وقد كرر هذا النداء رغبة منه في استمالة قلوبهم والاستحواذ على عقولهم، ومن الأساليب الإنشائية كذلك قوله: "أكرموا ضيفه" ، وقوله: "أسألكم بحرمة هذا البيت، ومن الأساليب الخبرية قوله: "أنتم جيران بيت الله" وقوله: "أنتم سادة العرب".

٣- امتازت الخطبة بترتيب أفكارها، حيث نلاحظ أن كل فكرة تسلم للأخرى، وهذا ما أعطى للخطبة تماسكاً، ومنحها تلاحما وقوة سبك.

٤- خلت الخطبة من الألفاظ الغريبة، فألفاظها سهلة مأنوسة، لا غرابة فيها، ولا حوشية، فالألفاظ ذات معان واضحة، لا تكد الذهن، ولا ترهق الفكر في استخراجها والوقوف عليها.

٥- أما معاني الخطبة فهي واضحة ووضوح الشمس في رائعة النهار، فلم نقف في الخطبة على غموض أو إغراق في معانيها، كما لم نقف على تداخل ولا تعظل بين دلالاتها.

٦- خلت الخطبة من دلائل الصنعة والتكلف، فلم نقع فيها على اهتمام كبير بالمحسنات البديعية والصنعة اللفظية، وهذا ما يجعلنا نقول: إن الرجل لم بالمحسنات البديعية والصنعة اللفظية، وهذا ما يجعلنا نقول: إن الرجل لم يتكلف في أداء خطبته وإنما ترك نفسه على سجيتها.

٧- الخطبة تشير دون شك إلى تغلغل الروح الدينية في نفوس العرب، فقد كانوا يكبرون البيت الحرام ويعظمونه، ويكرمون زواره والوافدين إليه.

وقفة في وجه الطغيان

واستهانة بالوعيد والتهديد

لعبيد بن الأبرص(*)

من قبائل الجنوب التي رحلت إلى الشمال، واستقرت فيه - قبيلة كندة ، وكان لهذه القبيلة من القوة ما مكنها أن تمد سلطانها على بعض قبائل الحجاز ، ومن بينها بنو أسد ، الذين كان يحكمهم حجر الكندي أبو امرئ القيس ، الشاعر الجاهلي المعروف .

وقد كان حُجْرٌ ملكا عاتيا، طغى في بني أسد ، وظلمهم، وفرض عليهم ضرائب أثقلتهم ، فأبت عليهم عزتهم أن يقبلوا الظلم ، أو يذلوا له ، فضاقوا بحُجْرٍ ، وتمردوا على حكمه ، ثم قتلوه .

وبلغ نعيه ابنَه امرأ القيس وهو في اليمن ، فترك لهوه ولعبه، وراح يجمع قبائل كندة ؛ ليحارب بهم بني أسد ، وعلمت أسد، فأرسلت إليه وفداً يعرض عليه الصلح حقنا للدماء ، ولكن غطرسته أبت عليه أن يقبل الصلح، وهدد ، وتوعد، وكان من قوله لهذا الوفد.

(*) شاعر من بني أسد ، كان أظهر شعرائها في عصره، وكان من ذوي الرأي والمشورة في قومه. وقد اختارته أسد بين من أختارتهم لمفاوضة امرئ القيس في الصلح.

ويذكر مؤرخو الأدب أن شعره تعرض للضياع، ولكن ما بقي منه يدل على أنه من الشعراء البارزين في العصر الجاهلي - قيل إنه مات مقتولا، وإن الذي قتله هو المنذر الثالث ملك الحيرة، الذي مات ، فيما يقول الرواة ، سنة ٥٥٤م.

" وسوف تعرفونني في فرسان قحطان ، أحكم ظبا السيوف وشبا الأسنة، حتى أشفي نفسي ؛ وأنال ثأري"

وكان في هذا الوفد عبيد بن الأبرص ، شاعر بني أسد ؛ فخرج من عنده هو ومن معه ، ساخرين من قوله، يتأهبون للقائه في معركة، تقضي على أمله في إعادة ملك كندة عليهم :

والنص الذي نعرضه عليك لعبيد بن الأبرص ، يتحدى فيه امرأ القيس، ويفخر بقومه بنيَ أسد، وبما لهم من عزة ، وغناء في الحرب.

النص

(أ)

١ـ يا ذا المخوفنا ، بقتـ ـل أبيه ، إذلالاً وحينا

٢ـ أزعمت أنك قد قتلـ ـت سراتنا كذبا ومينا

٣ـ هلا على حُجْرِ بن أم قطا م تبكي لا علينا

---

(١) الحين : الهلاك. والمعني أيهذا الرجل الذي توعدنا بالإذلال والهلاك بسبب مقتل أبيه.

(٢) سراتنا: أشرافنا، جمع سرى . مينا. كذبا. ومعني البيت أنك كذبت فيما أشعته بين الناس من أنك انتصرت علينا، وقتلت أشرافنا.

(٣) حجر بن أم قطام: والد امرئ القيس. المعني: جدير بك أن تحزن على حجر أبيك، لا على سراتنا الذين ادعيت كذبا أنك ...

٤ــ إنا إذا عض الثقــــا ف برأس صعدتنا لوينــــا

٥ ــ نحمي حقيقتنا ، وبعـــ ض القوم يسقط بين بينـــا

٦ــ هلا سألت جموع كنــ ـدة يوم ولوا أين أينـــا

(ب)

٧ ــ نحن الألى ، فاجمع جمــو عك ، ثم وجههم إلينـــا

٨ ــ واعلم بأن جيادنــــا آلين لا يقضين دينـــا

٩ــ ولقد أبحنا ما حميــــت ، ولا مُبيحَ لِمَـا حَمَينا

١٠ــ هذا ، ولو قدرت عليـــ ـك رماح قومي ما انتهينا

---

(١) الثقاف: ما يسوى به الرمح. الصعدة: القناة المستوية. أي إذا ما سويت رماحنا، وثقفت وأعدت للقتال ملنا بها على العدو لنعملها فيه.

(٢)نحمي حقيقتنا: ندافع عما يلزمنا الدفاع عنه من عرض أو حمى، أو مال، أو نحوها . يسقط بين بين : يتساقط ضعيفا لا يعتد به .

(٣) جموع كندة: كندة قبيلة امرئ القيس" يريد الجموع الذين أراد بهم امرؤ القيس غزو بني أسد وإذلالهم.

(٤) نحن الألى: الألى اسم موصول بمعني الذين ، وقدحذفت صلته، والمراد نحن الذين اشتهروا بالعزة والغلبة.

(٥) آلين لا يقضين دينا: أخذت على نفسها عهداً أن تكون هي البادئة بالإغارة، وألا تنتظر حتى يثار عليها.

(٦) أبحنا ما حميت: اعتدينا عليه، ولم نأبه بحمايتك له . لا مبيح لما حمينا: لا يجرؤ أحد أن يقتحم لنا حمي . أو يعتدي على شئ منعنا الناس منه .

(٧) لو قدرت عليك رماح قومي ما انتهينا ، لو أمكنتنا الفرصة لقتلناك كما قتلنا أباك .

(ج)

١١ــ لا يبلغ الباني ، ولــــو رفع الدعائم ، ما بنينــــا

١٢ــ كم من رئيس قد قتلنــــاهُ ، وضيمٍ قَدْ أَبَيْنــــا

١٣ــ وأوانس مثـــل الدمـــي حور العيونِ قد استبينــــا

١٤ــ إنا لعمرك ما يضــــامُ حليفنــــا أبدا لدينــــا

---

(١)الدعائم : ما يقوم عليه البناء ، مفردها دعامة.

(٢) ضيم : ذل .

(٣) الدمى: الصور والتماثيل ، جمع دمية . حور العيون: حور جمع حوراء، وهي الشـديدة بياض العين مع شدة سوادها. استبينا: أسرناهن في الحروب .

(٤) لعمرك : لفظ القسم ، أي أقسم بحياتك .


709
01
24
Bibliotheca Alexandrina
0600096